ذاكرة عراقية

الزهـاوي في اليمن

(الرياحين).. صحيفة عراقية رائدة سنة 1913

توسع بغداد قبل ثمانين عاما

سوق الموصل في اوائل القرن الماضي

صفحة مطوية من تاريخ الموصل

أضواء على انتفاضة منسية سنة 1839 م

■ د. عماد عبدالسلام رؤوف

عاش المشرق العربي إبّانَ إعادة الحكم العثماني المباشر إليه في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، منعطفًا مهمًّا في تاريخ تطوره السياسي والحضاري العام، تمثل بزوال حكوماته المحلية شبه المستقلة عن الإدارة العثمانية المركزية، ومن ثَمَّ ضياع آخر أمل بالاستقلال، ونتيجة لانفتاح البلاد على التجارة الرأسمالية الأوربية، قضى على إمكانات تطورها الاقتصادي المستقلَ، ومهد الطريق لهيمنة اقتصادية أجنبية متزايدة، سرعان ما اتخذت بعدًا سياسيًّا ملحوظًا، واقترنت بجملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة.

ومن ناحية أخرى شهد المشرق العربي قيام دولة محمد علي في مصر،بما تمثله من روح عصرية جديدة، ووصول الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي إلى بلاد الشام، وإحرازه الانتصارات السريعة على القوات العثمانية؛ ليضم هذه البلاد إلى مصر في دولة واحدة، كما كانتا في معظم حقَب التاريخ، ومن الطبيعي أن تؤدي تلك المتغيرات الجديدة إلى بعث الأمل لدى الفئات العراقية المعارضة لإعادة الحكم العثماني المباشر، للتخلص من السيطرة العثمانية، وهكذا فقد شهدت مدن العراق قيام انتفاضات شعبية متَعددة، عبرت في واقع الأمر عن رفض السكان عودة السيطرة المباشرة على مدنهم، بما تعنيه من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة، وقد بلغ من عنف هذه الانتفاضات وامتدادها، أنها كادت – في بعض اللحظات – أن تقضي على الوجود العثماني نفسه، أو أن تحرجه إلى حد كبير، كما تدل مجرياتها على اختصاصها بقيادات ذات تجربة وبأس، وحسن تقدير للمواقف السياسية عهد ذاك، ففي بغداد شبت الثورة في الجانب الشرقي في ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧ (آخر أيار ١٨٣٢م) بزعامة مفتي المدينة عبدالغني آل جميل.

وتشير التقارير إلى أن نصف أهل بغداد كانوا في ثورة على واليها رضا باشا اللاظ (١٢٤٧-١٢٥٨هـ / ١٨٣١ - ١٨٤٢م) ، ولم يتم القضاء على الثورة إلا بعد قصف مراكزها بالمدفعية، والتنكيل بالثوّار، وحرْق دُورهم، ولم تكد الثورة أن تنتهي حتى نشَبت ثورة أخرى في الجانب الغربي من بغداد، قامت بها عشيرة عقيل النجدية التي سبق وأن اتّفق زعمائها مع القيادة المصرية في الشام، ونجح رضا في القضاء على الثورة بعد استعمال مدفعيته مرة أخرى .

وفي البصرة شكل الثوار قيادة جديدة تحت زعامة عزيز آغا متسلم المدينة السابق، وحاول الأخير إزاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد بالقوة ،إلا أن محاولته لم تنجح بسبب الأوضاع الدولية.

تدل الشائعات التي انتشرت بين الناس في تلك الآونة على مدى ضعف السلطات العثمانية، وحراجة موقف علي رضا، فقد أشيع أنه اعتصم بقلعة بغداد، وأنه فرَّ من المدينة، وأنه لقي مصرعه، وأن أهل بغداد عزلوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية عليهم، وعينوا مكانه واليًا من بينهم؛ إبرازًا لميلهم إلى مصر، ولم تقتصر الثورة على المدن الرئيسية فحسب، وإنما امتدت إلى ما سواها من المدن والقصبات، فأظهر متسلم (عانه) طاعته للحكومة المصرية، وأعلنت (هيت) انضمامها إلى جانب مصر ،فزاد ذلك من حراجة الموقف العثماني في بغداد، حتى قيل: إن "كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون قدوم العساكر المصرية المنصورين". وأكد التقرير الذي رفعه قنصل إنكلترا في بغداد "أن هذه الولاية هي الآن في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا، وأنظار الشعب العربي متجهة في المحبة نحو إبراهيم؛ (يريد: إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في الشام)".

إبراهيم باشا

وفي الموصل كانت الأسرة الجليلية التي حكمت الموصل مدة قرن تقريبا، تتحيَّن الفُرَص لاسترجاع حكمها بعد أن أوْدَت السياسة العثمانية المركزية بحكم آخر ولاتها يحيى باشا الجليلي، وقد أقام الأخير في حلب متابعًا أخبار تقدم الجيش المصري، وهزائم العثمانيين إزاءه، ويظهر أن اتفاقًا قد جرى بين القيادة المصرية بوساطة حليفه الشيخ صفوك الفارس شيخ مشايخ شَمَّر الجَربا؛ إذ ما أن قارب إبراهيم باشا دخول حلب، حتى غادرها يحيى باشا متجهًا مع حليفه صفوك نحو الموصل، وكانت المدينة تعيش فترة قلق واضطراب آنذاك بسبب عجز الدولة العثمانية عن حمايتها إزاء الأخطار المجاورة.

وتشير بعض الوثائق إلى أنه "استولى على الموصل بمساعدة بعض سكانها"؛ مما دلَّ على وجود كتلة، أو حزب، مؤيدة له في الثورة على الدولة العثمانية، وإن هذا الحزب كان من القوة؛ بحيث لم يَبق بيد المتسلم المنصوب من قِبَل علي رضا إلا حيٌّ واحد فقط، وهو قريب من السقوط، وأن يحيى باشا أعلن بصراحة أنه يحكم الموصل بأمر من دولة إبراهيم باشا لا بأمر الدولة العثمانية.

وإذ يذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تايلر Taylar، أنه كان في الموصل حزب قد أخذ جانب مصر، فمن الراجح أن يكون هذا الحزب هو الذي استند إليه يحيى باشا في فرْض سيطرته على المدينة، ولم يستطع العثمانيون القضاء على حكمه إلاّ بعد اتباعهم سياسة إشغال حليفه صفوك في نزاعات قبلية مستمرة، وبعزله تَمَّ القضاء على آخر الحكومات المحلية شبه المستقلة في العراق، وفرضهم الإدارة المباشرة عليه.

وكنا لا نعلم مصير هذا الحزب المؤيد لزعامة الجليليين، وللإدارة المصرية في الشام، بعد انتهاء حكم يحيى باشا الجليلي، حتى وقفنا على وثيقة مهمة تتضمن تقريرًا سريًّا بعث به أحد ضباط الجيش المصري إلى إبراهيم باشا في الشام سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، تحدث في بعض فقراته عن انتفاضة كبيرة قام بها الموصليون في تلك السنة، وقد جاء في التقرير ما يأتي: "..جواب الشيخ الموما إليه (هو حُمود جَسّار) الأول بخصوص علي باشا (اللاظ)، فإنه بتاريخ ٣٥ ص (صفر) ١٢٥٥، قد وكل بغداد فريق باشا وملا علي، وهو توجه إلى الموصل بينه وبين بغداد مقدار اثني عشر يومًا، ومعه من العساكر مقدار سبعة آلاف من الجهادية وغيرهم، وكان وصوله في ثاني من ربيع الأول، وحصل بينه وبين أهل الموصل وقعة، فقتَل من أعيانهم اثنين وسبعين شخصًا، وسيَّر من العلماء سبعة إلى نواحي البصرة من دون ذنب، غير أنه يخبر على أنهم كاتبو سعادة أفندينا إبراهيم باشا، ومُبغضون إلينا...".

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

فهذا النص يكشف على أن (الوقعة) المذكورة لم تكن – في حقيقة الأمر – إلاّ انتفاضة شعبية عارمة، شارَك فيها عددٌ كبير من أعيان المدينة وزعمائها؛ لأنه ليس مألوفًا أن يُعدم هذا العدد الكبير منهم، ما لم تكن قد شملت المدينة بأسْرها، وباتت تهدِّد الوجود العثماني هناك نفسه.

وتدل معاقبة العلماء بنفْيهم إلى البصرة، على مشاركتهم الفعلية في حوادث الانتفاضة؛ إذ لولا تلك المشاركة وجدِّيتها، لما تعرَّضوا إلى النفي والتبعيد، ولقد حاول والي الموصل العثماني تطبيق التجنيد الإجباري، مستهدفًا تحقيق أمرين معًا، أولهما: زيادة القوات العثمانية المتجهة لإسناد الجهد العسكري الرئيس في أعالي الفرات ضد الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا، وثانيهما: التخلص من القيادات الموصلية السابقة، والمؤيدة لحكم الجليليين، وضرْب زعامتها بالقضاء على تشكيلاتها العسكرية، فكان ذلك كله من الأسباب التي أدَّت إلى سرعة انتشار الانتفاضة وعنف مواقفها من السلطة المذكورة.

كما يكشف التقرير أيضًا عن أن زعامة الانتفاضة كانت تتصل سرًّا بواسطة الرُّسُل، بقيادة إبراهيم باشا؛ بُغية تنسيق المواقف بينهما، وهذا يدل على أنه كان للزعامة المذكورة تقديرها للظروف الخارجية، ورغبة في توظيف الظروف لصالحها، وفي الواقع فإن توقيت الانتفاضة نفسه يدل على دقة هذا التنسيق، فهي قد حدثت في أواسط شهر صفر سنة ١٢٥٥هـ الموافق لأوائل أيار من سنة ١٨٣٩م، وفي هذا التاريخ كان إبراهيم باشا في حلب يُهيِّئ قواته العسكرية وحلفاءه من القوى المحلية العربية للقاء العثمانيين في نزيب (في الغرب من بيره جَك) حيث دارت – بعد أقل من شهرين – المعركة الشهيرة المنسوبة إلى هذا المكان (٢٤ حزيران ١٨٣٩م).

وبالنظر لقرب الموصل من حلب، ووجود قوى حليفة فيها لها تجربة سابقة في الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة – فإن من المعقول أن يكون ثمة اتصالات قد جرت بين القيادة المصرية في حلب، وزعامة الانتفاضة في الموصل لتوقيت القيام بتلك الانتفاضة، على ما يشير إليه التقرير المذكور؛ إحراجًا للموقف العسكري العثماني بوجه عام.

وإذا كان هذا التقرير قد كشف – على سبيل الإجمال – عن حدوث الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الأخيرة، فإن كثيرًا من تفاصيله بقي غير معروف، يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصِّي.

وكان من حسن التقدير أننا وقفنا في أثناء بحْثنا عن وثائق بعض الأسر الموصلية القديمة، على نبذة تاريخية مخطوطة، ذات سِمَة أَسَريَّة، بعنوان: (تاريخ آل السراج في الموصل)، نقلها السيد محمد بن داود السراج، في سجل كبير يحتفظ به في داره في مدينة الموصل، فإذا بها تتضمن تفاصيل مهمة لم تُعرف من قبلُ عن هذه الانتفاضة الشعبية، وقد عزز السيد محمد بن داود هذه النبذة بتوضيحات مهمة – مما يحفظه بقوة حفظ ملحوظة – عن أسلافه، وعند دراسة هذه النبذة والروايات المكملة لها، تأكَّدت لنا أهميتها بوصفها تلقي ضوءًا جديدًا على تلك الانتفاضة.

تدور معطيات النبذة حول شخصية قائد الانتفاضة، أو أحد أبرز قادتها، وهو عبدالكريم بن سبتي بن محسن، وكان سبتي هذا شيخًا على فخذ البوحَمَد أحد فرعي قبيلة الخزاعل في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وتشير شجرة نسب الخزاعل إلى أنه ابن محسن بن محمد بن حمد بن عباس بن محمد بن مُهنّا، وأكثر أبنائه تولَّى مشيخة عشيرته، جيلاً من بعد جيل، يوم كانت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة في الجهة اليسرى من فرات الديوانية (صَوْب الجزيرة) أيام عمرانها، وقد تولى هو رئاسة عشيرته بصورة رسمية سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م) في حياة عمه حَمَد الحمود شيخ الخزاعل ذائع الصِّيت، وبينما تذكر بعض المصادر الخطية أن لسبتي ولدًا اسمه ظاهر، تشير النبذة الخطية إلى أن له ابنًا آخر هو عبدالكريم المذكور.

وفي الوقت الذي يشير فيه مؤلف غير معروف إلى "أن سبتي لقي مصرعه غريقًا في نهر المُسَرْهَد (الغرَاف) سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م)، عندما كان في حرب على قبيلة المنتفق، تصرِّح النبذة بأنه توفي في الموصل سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م)، وسبب هذا الاختلاف – على ما يوضحه السيد محمد بن داود راويًا عن أبيه – أن سبتي توجه بجيشه القبلي في أثناء المعركة التي حدثت بين المنتفق والعثمانيين، إلى مساندة المنتفق، وهناك حُوصر من قبل القوات العثمانية النظامية والقوات القبلية المساندة لها، فاضطر إلى إلقاء نفسه بفرسه إلى نهر المسرهد (الغراف)، مما أدى إلى غرق الفرس، وعند بحث الخزاعل عنه، وجدوا فرسه ميتة على شاطئ النهر، فظنوا أنه غرق، أما سبتي نفسه، فإنه نجا من الموت ليقع أسيرًا بأيدي القوات العثمانية، فأبعدته السلطات العثمانية إلى الموصل؛ حيث سُجن هناك أحد عشر عامًا، والتحق به في تلك الأثناء ولده عبدالكريم وأمه، وكانت الأخيرة من قبيلة العبيد النازلة قرب الموصل آنذاك، فأقامت وولدها في منازلهم، وصادف أنه كان في صُحبة سبتي في سجنه أحد شيوخ العبيد الثائرين، وهو حسين آل هندي من إحدى حمائل فخذ البوشاهر من أفخاذ قبيلة العبيد، فتوسط الأخير – بعد أن أطلق سراحه – لدى السلطات العثمانية لكي تعفو عن سبتي، وتم ذلك بالفعل سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م)؛ أي: بعد أن قضى في السجن نحو أحد عشر عامًا، ولم تمضِ إلاّ أربع سنين حتى توفي، فدُفن في جامع إمام إبراهيم أحد جوامع مدينَة الموصل القديمة.

عاش عبدالكريم في كنَف أخواله من البوشاهر العبيديين حتى بلغ رشده، فتزوج

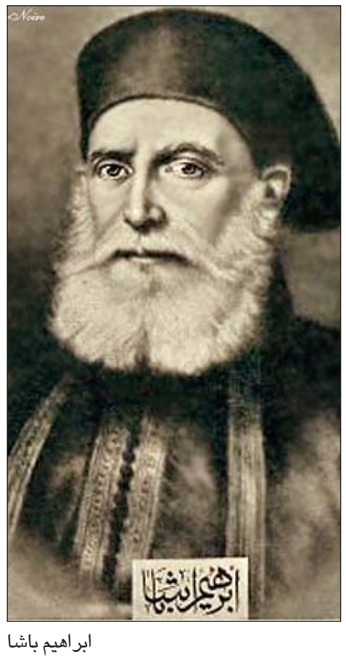

ابراهيم باشا

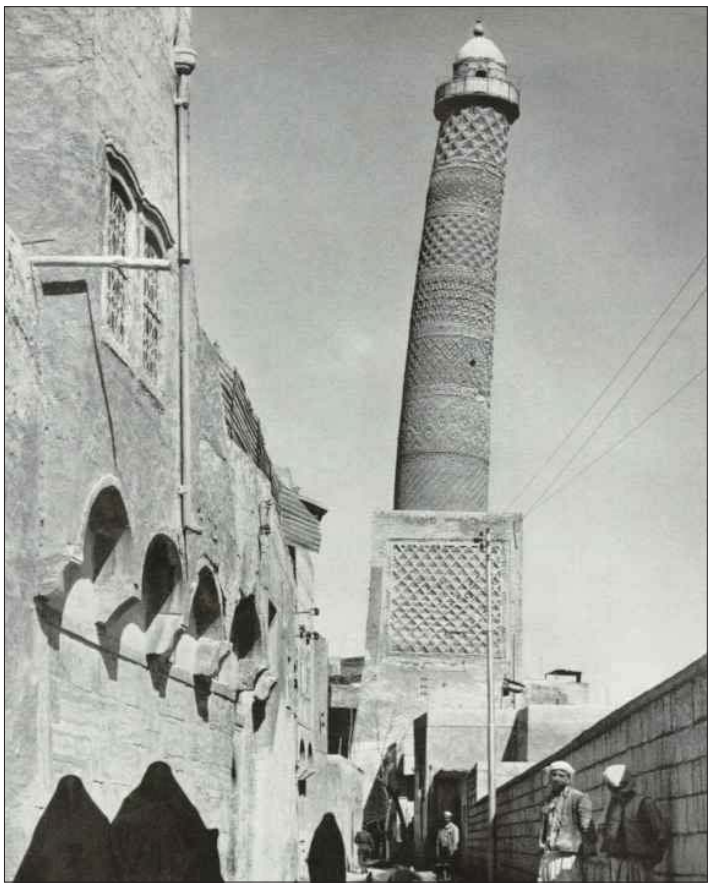

من إحدى بنات خاله، فأنجبت له طفلاً واحدًا دُعي (جاسم)، وسكن هو في مدينة الموصل في محلة من محالها تُعرف بالمكّاوي، وهناك اشتَهر أمره، وذاعت بين الناس أخبار كفاءته وشجاعته، فاختاره أهل المحلة شيخًا لهم، على الرغم من أنهم كانوا من عشائر مختلفة، أهمها الزهيرات والشهوان، والبوحَمدان والبُدْش، وغيرهم.

وكانت محلة المكاوي تُعَد واحدة من المحلات التي اتخذت منذ القرن الثاني عشر (الثامن عشر للميلاد) موطنًا لإحدى أكبر فرقتين انكشاريتين في الموصل، وهي الفرقة السابعة والعشرون، المعروفة بالتركية باسم (يكَرمي يدي) ، وبموجب ما أصاب نظام الانكشارية نفسه من تغير، وانقطاع إمداده بالجند الجديد منذ زمن بعيد، فقد أصبح منتسبو هذه الفرق هم أهل المحلات التي توجد حصرًا، بمعنى أن الفِرَق لم تعد تمثل إلا مصالح السكان أنفسهم – من تجار، وحرفيين، وأصحاب المهن الأخرى – ومن هنا يفهم سبب ولائها لزعامة الجليليين المحلية طيلة قرن كامل من الزمن، ولم يؤدي الإلغاء الرسمي لنظام الإنكشارية سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م) إلى زوال أسماء هذه الفرق، وإنما ظلت لحين تمثل القوى المسلحة لأبناء المحال التي كانت تشكل منها، وهكذا فقد عُدَّ عبدالكريم بن سبتي بموجب زعامته لأهل محلته، زعيمًا للفرقة (يكَرمي يدي) أيضًا، وإذ كان لكل فرقة أو محلة علمها الخاص، أصبح عبدالكريم يسمى (بيرقدارًا)، فهو زعيمها وحامل رايتها في أثناء الملمات، وممثلها لدى القوى الأخرى.

وفي الواقع، فإن لهذه الفرقة تراثها العسكري الحافل في إسنادها لزعامة الجليليين، ومن المرجح أن تكون هي التي أسندت يحيى باشا الجليلي عند استعادته حكم الموصل، ممثلاً لإبراهيم باشا بن محمد علي سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م، وعرفتها الوثائق البريطانية المعاصرة – لذلك السبب – بحزب مصر، فمن الطبيعي أن تكون محلة المكاوي وجوارها من محلات الميدان ورأس الكُور – حيث يستقر زعماء الفرقة المذكورة والفرق المتحالفة معها – مؤهلة للقيام بالثورة كلما سنَحت الفرصة، فاذا أضفنا إلى تلك الأسباب العامة، الأسبابَ الشخصية المتمثلة بموقف عبدالكريم، ووالده سبتي وأخواله من العبيد المناوئ للوجود العثماني – يكون من المفهوم: لمَ كانت هذه المحلات قاعدة الانتفاضة ومقَر قيادتها ومنطلقها في الوقت نفسه؟!

وتعد محلات المكاوي ورأس الكور والميدان، وإمام إبراهيم – الجزء الأكثر كثافة وأهمية من محلات الموصل في القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) ، ويتميز موقعها بأنه يحتل معظم شاطئ دجلة، وهو ما يعني توفر طرق مواصلات جيدة لها، كما أنها تقع قرب سراي المدينة؛ حيث لا تفصل بين هذه المؤسسة والنهر سوى محلة الميدان، وتكتظ هذه المحلات بالأزقة (المسماة محليًا بالعَوْجات) الضيقة، والتي تسهل السيطرة على مداخلها عند الملمات، وإذا أضفنا إلى ذلك كله ارتفاعها النسبي عن مستوى سطح المدينة، ومن ثم إشرافها على أكثر المحلات الأخرى – تبين لنا أهمية أن تكون هذه المحلات منطلقًا لانتفاضة شعبية مسلحة عنيفة، تشارك فيها فئات عديدة من السكان.

من (عوجات) الموصل

واذا سكت التقرير السري المنوه به آنفًا عن أسماء قادة الانتفاضة، فإن النبذة الخطية تنوِّه بوجود زعامات أخرى، إضافة إلى عبدالكريم بن سبتي، منها رجال من آل نوح، وهم فرع من حمولة آل الهندي من البوشاهر العبيديين الذين كانوا يسكنون محلة رأس الكور الواقعة إلى الجنوب من المكاوي، وتربطهم بعبدالكريم صلة المصاهرة، ونحن نعلم أن حسين الهندي كان ثائرًا في وجه العثمانيين منذ وقت سابق، وأنه كان مسجونًا في سجن الموصل يوم جيء بعبدالكريم إليه سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م)، ولكننا لا نعلم تاريخ ثورته وماهية أسبابها، ومن المحتمل أنه اعتُقل أثناء الاضطرابات المسلحة التي صاحبَت السنين الأخيرة من حكم الجليليين، والتي كان من أسبابها محاولة السلطة العثمانية القضاء على هذا الحكم، وضرْب القوى المساندة له .

ولما كنا نعلم بوجود عشائر أخرى، كانت تقيم في هذه المحلات – منها الشهوان، والبو حمدان والبدش – سبق لها أن أيَّدت زعامة عبد الكريم بن سبتي، فإن من المنطقي أن زعماء هذه العشائر كانوا يُعدون زعماءَ لهذه الانتفاضة أيضًا، ويدل قيام السلطة العثمانية بإعدام (٧٢) ونفي (٧) من زعمائها على سعة الانتفاضة وضخامة عدد المشاركين فيها.

وليس من المحدد الأسباب التي أدَّت إلى فشل هذه الانتفاضة الكبيرة،غير القسوة الشديدة التي واجهتها بها السلطة العثمانية، وهي قسوة بلغت حد استخدام المدفعية والجيش النظامي نفسه، وفي ذلك يقول القس (المطران فيما بعد) سليمان الصائغ: "أنه لَمَّا ثارت أهالي الموصل وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه، أرسل إليهم أحد أعوانه يدعى قاسم أفندي؛ ليدعوهم إلى الطاعة، ويقنعهم في الإذعان إلى القانون العسكري، فلما أقبل رسوله إلى الأهالي، ثاروا عليه وقتلوه، فأحضر محمد باشا (اينجه بيرقدار والي الموصل آنذاك) عشرين مدفعًا صَوَّبها على المدينة، ثم أرسل عليها بعض الكتائب النظامية، فدخلوها ونهبوا أسواقها، وسفكوا دماء أبرياء كثيرين، ثم أمسك بعضًا من وجوهها، وأرسلهم نفيًا إلى البصرة".

والذي نراه أن مسألة رفض القانون العسكري لم تكن إلاّ غطاءً أرادت به السلطة تغطية الأسباب الحقيقية للانتفاضة ودوافعها الكامنة في المجتمع الموصلي، وفي الظروف الدولية على حد سواء، لقد أدرك محمد باشا اينجه بيرقدار هذه الحقيقة، وهو ما يفسر قسوته وبطْشه بالأبرياء، من غير المؤهلين لأداء الخدمة العسكرية أصلاً، ومن المؤسف أننا لا نملك معلومات عن الأشخاص الذين قُتلوا أو نُفوا، باستثناء واحد منهم، هو عَبدالكريم بن سبتي نفسه؛ لأن النبذة الخطية تشير صراحة إلى أنه "اعتقل في تلك المعركة، وأصبح في قبضة الأتراك، ولم نعرف ما جرى له بعدها؛ لأنهم أخذوه إلى إسطنبول" ، وفي هذه المدينة تضيع أخبار عبد الكريم، ويُنسى أمره، فلا نعلم ما إذا كان قد سُجن أو أعدم، وعلى أية حال، فإنه لم يَعُد إلى المَوصل مرة أخرى.

على الرغم مما كان يبدو توقف الانتفاضة، والقضاء على زعمائها، فإن جمْرها لبث مُتقدًا في النفوس جيلاً آخر، من ذلك أن حفيدًا لعبدالكريم بن سبتي، هو أسعد بن جاسم، ورث زعامة محلته وتأييد أهلها، فاختاروه بيرقدارًا؛ أي: حاملاً للوائها، واتفق الأخير مع رفاق له، منهم محمد آل ياس الزهيري من عشيرة الزهيرات التي تسكن الموصل، وكان هذا (بيرقدارًا) هو أيضًا لمحلته، فعرف الثوار من ثَمَّ بالبيرقدارية نسبة إليهما، بيد أن خبر التكتل الجديد تسرب إلى أسماع السلطة العثمانية، فأرسلت قوة عسكرية حاصرت مساكن الثوار، وتم إلقاء القبض على أسعد "وجماعة البيرقدارية"، وألقوا بهم في السجن، وكان منهم محمد آل ياس الزهيري، فتمكن الأخير من الفرار بنفسه من السجن، بينما بقي أسعد وجماعته في سجنهم، وحكم على أسعد بالاعدام، فنُفذ شنقًا، أما رفاقه، فقد حكم عليهم بالسجن، وبهذا انتهت آخر الانتفاضات التي قام بها الموصليون إبان العصر العثماني.

العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

(الرياحين).. صحيفة عراقية رائدة سنة 1913

جولة في صفحات عددها الأول

■ عبد الحميد العلوجي
باحث راحل

بين محفوظاتي القديمة من المجلات والجرائد العربية .. وقعت على مجموعة بتراء من مجلة (الرياحين) البغدادية قوامها خمسة أعداد من سنتها الأولى . وقد رأيت على غلاف عددها البكر ما يشير ألى أنها (مجلة أدبية ، تهذيبية ، أخلاقية ،فكاهية ، تصدر في الشهر مرة مؤقتا) . ولقد تعاون على إصدارها أدبيان بغداديان لامعان ، هما :إبراهيم منيب الباججي (وكان صاحبها) ، و إبراهيم صالح شكر (وكان محررها ومديرها المسؤول) .
وصدر عددها الأول مثقلا بست عشرة صفحة في (غرة جمادي الأول ١٣٣٢ الموافق مارت ١٣٢٩) ..وهذان التاريخان يومثان الى التقويمين الهجري والرومي ، وهما يكافئان سنة ١٩١٣ الميلادية .
وأكد الإبراهيميان ـــ على غلاف العدد الأول أن (الرسائل لا ترد لأصحابها.. نشرت أم لم تنشر) ، وان لا عبرة بالوصولات (مالم تكن ممضية بإمضاء صاحب المجلة) ، وان (الاشتراكات لسنة في بغداد وبقية البلاد العثمانية مجيدي واحد وفي البلاد الأجنبية مجيديان .

والمجيدي ، هنا ، إنما هو المجيدي الصغير الذي كان يعادل ثمانية قروش رائجة ، وهو ما نسبوه الى السلطان عبد المجيد الذي ولي السلطنة عام ١٨٣٩ وأم أجد ، في محتوى العدد الأول ، أي أشارة الى ثمن النسخة الواحدة من هذه المجلة.. ولكن العدد الثاني الذي بزغ في غرة جمادي الأخر جعل الثمن عشرين بارة والزمت (الرياحين) قراءها ـــ في صفحة الغلاف بأن (من قبل عددا واحدا من المجلة عد مشتركا ويطالب بالاشتراك) .. غير أن المستوى المعيشي المتدهور الذي كان يسود الحياة العراقية يومذاك ، كان يشجع على استهجان هذا الشرط ، ويحبب الاستحواذ على المجلة بلا سبب مشروع .
وهذا ما قهر ادارة المجلة على ان تعلن في العدد الثاني (رجاءا) ..هذا نصه : (على اثر ما وزعنا العدد الاول من الرياحين قدمنا الوصولات الى من قبل المجلة بموجب دفتر الموزع عبد الأحد لاستلام بدل الاشتراك .إلا أن البعض أجابنا بأن العدد المذكور لم يصله ، فعليه أظطرينا الى تأجيل التحصيلات وقدمنا العدد الثاني هذا في البريد الداخلي بموجب ذلك الدفتر رفعا للشك ، فالمرجو ممن وصل أليه العدد الأول وأحب الاشتراك في المجلة أن يرسل بدل اشتراكها الزهيد الى الإدارة لنقيده في دفتر الاشتراكات ،وتقدم له الوصول ، ومن لم يحب الاشتراك فيها فعليه ان يعيد المجلة أو يخبر أو يخبر الإدارة بعدم اشتراكه كي لا يبقى بعد حق للمطالبة ويجعلنا بذلك من الشاكرين) .
ولتذليل هذه العقبة التي لم تكن في الحسبان ظهر العدد الثاني من المجلة وتحت كلمة (الرياحين) في غلافها عبارة: (بدل الاشتراك يدفع سلفا).. وترويجا لهذا المنطق الجائع بشرت المجلة قراءها بأنها: (تهدي الى كل مشترك نسخة من ديوان صاحبها تأييدا للولاء بين مشتركيها الكرام .. فعلى المشتركين الذين دفعوا بدل الاشتراك أن يراجعوها لاستلام النسخة المذكورة).
وطبعت باكورة الرياحين في مطبعة الشابندر ببغداد (وهي التي أسسها محمود الشابندر سنة ١٩٠٧)..
ولكن يبدو ان الفكر العراقي ، آنئذ ، كان يقاسي كثيرا من أزمة المطابع .
ومن الغريب في الأمر أن الجريدة أو المجلة لم تكن أليفة مطبعة واحدة ، ولذلك رأينا العدد الثاني من الرياحين يهجر مطبعة الشابندر ليطلع من مطبعة دنكور (التي أسسها الجاخام عزرا دنكور في بغداد سنة ١٩٠٢)، كما رأينا العدد الثالث يعاف دنكور ليطل من مسابك مطبعة الأداب (التي أسستها أحدى الشركات العراقية سنة ١٩٠٩) .. ويبدو- بعد ذلك – أن الرياحين استقرت في هذه المطبعة متمتعة بكفاية مديرها افني فرنسيس الموصلي .
وجاء العدد الأول خلوا من هذه أشارة الى المكان الذي تشغله أدارة المجلة ، ولكن العدد الثاني جعله (في الشارع الجديد من محلة المربعة) في رصافة بغداد .
وصدرت الرياحين في شهر مارت ١٩١٣ واحتجبت بمد مدة وجيزة اختلف مؤرخو الصحافة العراقية في مقدارها .. فذهب الأستاذ السيد عبد الرزاق الحسني الى أنها احتجبت بمد صدور عددها الثالث مباشرة.
وهذا يجانف الواقع ، وقد ألمعت في مطلع هذا البحث الى وجود خمسة أعداد منها بين محفوظاتي .. ويعتقد الأستاذ محمود الجندي أن الرياحين توقفت عن الصدور في ٢٧ أذا سنة ١٩١٤ بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ، وهذا يعني – أذا كانت هذه الرواية سليمة – أنها ظلت على الحياة طيلة سنة واحدة .
أن الظاهرة البارزة في الرياحين هي كثرة الغلط المطبعي الذي تبرره سيادة الرطانة التركية في مسالك اللهجة البغدادية ، والى سذاجة اليد العاملة في شؤون الطباعة .
ومحتوى المجلة – جملة وتفصيلا – ليس إلا منتخبات مخطوفة من مجلات وجرائد عربية وعراقية وتركية .. ولا سيما عندما يتعلق الاقتباس بمنازع الفكر الأوربي وبمعالم الحياة الغربية .. وبالرغم من ذلك كانت الرياحين لا تخلو من أصالة وعبارة سليمة وخيال جوال .
أما الغاية من إصدار الرياحين ، فقد كشفها المرحوم إبراهيم صالح شكر في التمهيد الذي استهل به العدد الأول حيث قال : ((كنت قد أصدرت جريدة من قبل باسم (شمس المعارف) ، وقلت في افتتاح العدد الأول منها أنني اصدر لأعلم الصحافيين أن الجريدة الأدبية ذات الروح الخفيفة تجد رواجا بين القراء وإقبالا من الأدباء.
وبعد أن اصدر منها ثمانية عشر عدد ظهر أنني مخطئ في هذا الاعتقاد بين أبناء هذه البلاد .. لذلك وقفتها . أما اليوم ، فقد طلب مني حضرة الفاضل إبراهيم منيب الباجه جي أن أشاركه بمجلته هذه وتلبية لطلبه قد أخذت على عهدتي تحريرها ومسؤولياتها راجيا لهذه المجلة نجاحا يضمن لها التقدم أما غايتنا من أنشاء هذه المجلة – هي خدمة هذا الوطن العزيز ببث الفكرة الأدبية بين أبنائه لعلمنا أن الأداب أول حجر في أساس النقد والعمران ،)) .
ولقد استوعب العدد الأول طائفة من الخطرات الجريئة التي تعبر عن النزعة الحرة والأيمان بالله لدى صاحبها ومديرها المسؤول . فتحت عنوان (أيها الفيلسوف) جاء : ((هب من رقادك أنت أيها العليل الملقى على فراش الأوجاع .. وانهض من لجة أحزانك أنت أيها المسكين البائس .. وفر من بين همومك أنت أيها الفيلسوف الجاحد الذي تتعب في حل مسألة الكون المبهمة .. وتعالوا جميعا الى الحقل نزه الخاطر معا
ونتصفح قليلا كتاب الطبيعة الكبير ، علنا نهتدي منه الى غايتنا المنشودة))
وبعد أن يأخذ كاتب هذه الكلمة (وهو هنا مجهول .. وربما يكون إبراهيم صالح شكر!؟) بأيدي هؤلاء الى حيث مراتع الجمال في الحقل .. يتحدى أباطيل فيلسوفه ، ويستهزئ بأوهام دارون .. ثم يتساءل : ((من يدير حركة الحياة فيك ؟.. ومن يحول طعامك وشرابك الى دم ؟ .. أأنت ، أم أبوك ، أم أمك ، أم طبيعة .. أم من ..؟ .أجب ولا تهرب !!)) .

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

وتحت عنوان ((مثلثات)) وجدت : ((ثلاثة اسمح الناس بأبدانهم ، وثلاثة تمر مر السحاب ، وثلاثة تهدم البنية ، وثلاثة تجتنب ، وثلاثة تستوي فيها الخلائق..)).. وقد أعجبني منها هذا المثلث الجارح : ((ثلاثة أخوف الناس : المحب من هجر حبيبه ، والمختلي من رقيبه ، وبعض الصحافيين من قانون المطبوعات))

... انه ينقد قانون المطبوعات العثماني الذي اضطهد أصحاب الصحف وأذلهم ، وجعل جرائدهم ومجلاتهم هدفا للتعطيل الإداري بقرار يصدره الوالي أو الوزير وفقا للمادة (٢٣) منه .

أما الصحف الأدبية ، ومنها الرياحين ، فكانت تعيش بلا ضمان ولا رعاية ولا حماية .. وكان الموظف المسؤول يختال امتيازها ، ويكتم أنفاسها عندما يريد أن يتعسف أرواء لشهوة التعسف .

وتحت عنوان ((الشرقيون والمخدرات)) دار الكاتب (وهو مجهول أيضا) حول الشرق ليؤكد انه مريض، متأخر ، حالم .. ومما جاء فيه : ((إليك أمثله من تلك المخدرات التي يتخذها الأطباء الشرقيون لمعالجة الأمراض : يتظلم مغلوب ضعيف من ظالم قوي ، فيقال له : اسكت .. فالعين التي تحارب السهم تفقأ . ويعرض التلميذ عن استظهار مباحث البصريين والكوفيين اللغوية ، فيقول له أستاذه : أن الكسالى المتوانيين يختلقون لأنفسهم أعذارا أقبح من الذنوب .

ويسأل الشاب مستفسرا معاني الزوائد الفروعية الدينية ، فيقول له العالم : من لا ينظر بعين الأيمان لا يرى في هذا العالم سوى الضباب والدخان .

وهكذا تمر الليالي اثر الليالي والشرق مضطجع على فراشه الناعم ، يستيقظ دقيقة عندما تلسعه البراغيث ، ثم يعود فيهجع جيلا بحكم المخدرات التي تمازج دمه ، وتسير في عروقه .. فإذا قام رجل وصرخ بالنائمين ، وملأ منازلهم ومعابدهم بالضجيج يفتحون أجفانهم المطبقة بالنعاس الأبدي ، ثم يقولون متثائبين : ما أخشنه .. ! .. لا ينام ولا يدع الناس ينامون ..

غدا يقرأ الأدباء المفكرون ما تقدم ، فيقولون متضجرين : هو متطرف ، ينظر الى الحياة من الجهة المظلمة، فلا يرى غير الظلام .. وطالما وقف فينا نادبا باكيا علينا متأوها لحالنا . فلهؤلاء الأدباء المفكرين أقول :

أنا اندب الشرق لان الرقص أمام نعش الميت جنون مطبق ... أنا ابكي على الشرقيين ، لان الضحك على الأمراض جهل مركب .. أنا أنوح على تلك البلاد المحبوبة ، لان الغناء أمام المصيبة غباوة عمياء ..

أنا متطرف ، لأني أرى الجيفة المنتنة فتشمئز نفسي ولا استطيع أن اجلس قبالتها وفي يميني كأس من الشراب وفي شمالي قطعة من الحلوى .

فإذا كان هناك من يريد أن يبدل نوحي بالضحك ، واشمئزازي الى الانعطاف ، وتطرفي الى الاعتدال ، فعليه أن يريني طبيبا ماهرا في العادات ، ومتشرعا مستقيما ، وعالما يعمل بما يعلم ، وزوجا ينظر الى امرأته بالعين التي يرى بها نفسه . أن كان هناك من يريد أن يسمعني مطبلا ومزمرا ،فعليه أن يدعوني الى حفلة العرس لا أن يوقعني بين المقابر . اكتب هذا بكل حرية .. حيث أن الاحتشام في أظهار الحقائق هوة نوع من الرياء الأبيض المعروف عند الشرقيين بأسم التهذيب .. وما علي من المستسلمين الى الأحلام اللذيذة اللذين يسيرون على سبل ضيقة مغروسة بالأشواك .. والأزهار محفوفة بالذئاب الخاطفة والبلابل المترنمة)) .

وتحت عنوان ((أسعار السوق)) بلغ النقد مداه من المرارة ، لان (الكذب والنفاق والغش والمداهنة والرياء في المائة ٩١، وشتم الدين في المائة ٥٣ أخذ بالارتفاع جدا ، والتباغض والتحاسد في المائة ١٦ في تحسين عظيم ، والتربية والأداب وحسن الأخلاق بكساد عظيم للغاية ، والصدق والاستقامة والأخلاص والأمانة بالمائة (لا حول ولا...) والسوق في هبوط دائم) .

وفي ((عقود ثمينة)) تناصر النقد والحكمة علة توجيه الرأي العام ، ومما جاء تحتها :- ((أنني أفضل الصانع المتفنن على الكويتب البارد والشويعر المتطفل . وأن السقوط في الشرك سهل ولكن الخروج منه صعب)) .

أما ((أحاسن الأشياء)) فقد انتظمت أسئلة وأجوبة دارت بين احدهم (وهو السائل) وبين فيلسوف إغريقي) وهو المجيب ، وتناول الحوار بينهما أقدم شيء وأجمل شيء وأكبر شيء وأثبت شيء .. وغير ذلك وتشققت ((الأدبيات)) عن عناوين فرعية، منها ((الأدب خير نسب)) وجاء تحته قصيدة لابراهيم منيب الباجه جي تتألف من احد عشر بيتا ، ومطلعها :

كن سيدا بالأدب مابين أهل الحسب ومنها

((فاكهة الأدباء)) وتحتها قصيدة لإبراهيم صالح شكر قوامها اثنا عشر بيتا مطلعها:

حتام هجرك في الهوى ونواك وعلام هذا السخط بعد رضاك وتحت عنوان ((اللطائف الشعرية)) نوادر مستملحة ، اخترعها شعرا خليل مطران ومحمد أمام العبد وأنيس قربان وفضيل نمر وعبد الغفار خانكان والشيخ اسكندر العازار .

ونسجت أدارة المجلة اقتراحا ، هذا نصه: ((نقترح على الأدباء الكرام تشطير وتخميس هذين البيتين . والجائزة للمجيد اشتراك سنة في الرياحين . وهما : تعب يطول مع الرجاء لذي الهوى خير له من راحة بإياس لو لا مجيئكم لما عاتبتكم ولكنتم عندي كبعض الناس وأنا اجهل الذي استأثر بالجائزة ، ومدى استجابة الشعراء لهذا الاقتراح .. ولكني وجدت في العدد الثاني تحت عنوان ((أجوبة الاقتراح)) ما يلي : ((ورد الى أدارتنا تخميسان على البيتين اللذين اقترحنا تخميسهما في العدد الماضي ، فأدرجناهما تحت هذا الشرح بلا ترجيح انتظارا الى أن تبلغ التخاميس حد اللازم)) .

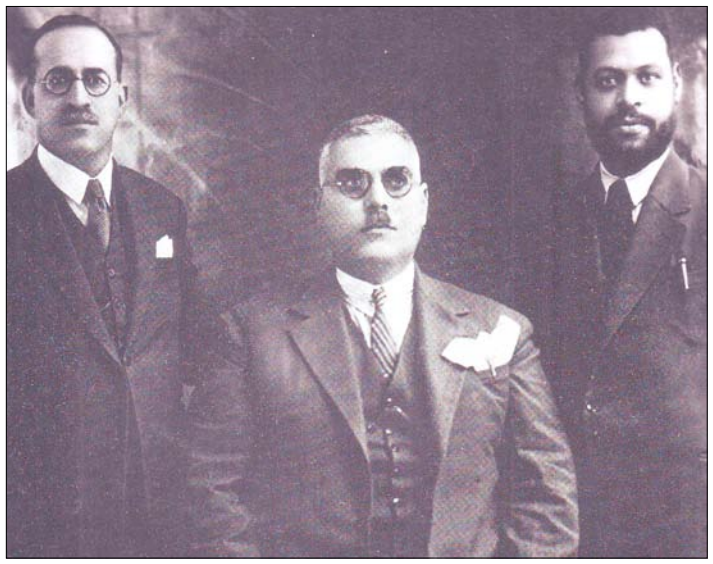

شكر مع احمد عزة الاعظمي

وكان ممن اشترك في تنفيذ هذا الاقتراح الأساتذة اللذين أشارت إليهم الرياحين في أعدادها : الثاني والثالث والرابع ، وهم : عبد الرحمن البناء . و « ب . ت .»، و فلوجي زاده الحاج مهدي ، وعبد الوهاب ملوكي ، وناجي .

وتناول العدد الأول أيضا « ضلالات الإنسان» بعد أن قدم لهم قلم التحرير بقوله: « كتب القاضي رنتول في لندن ثلاث عشر ضلالة في الحياة وقال في أخرها : أذا تحامى الإنسان هذه الضلالات : « أمن العثار طول حياته ... ولما كانت فلسفة رنتول جديرة بالدرس ، رأينا أن نتحف بها قراء الرياحين « .

ومن تلكم الضلالات : « أن يحاول سبك الأخلاق كلها في قالب واحد « . ومما يجب أن لا اكتمه هو أن المجلة نشرت اثنتي عشرة ضلالة وغابت عنها واحدة .

وفي ما أدرجته المجلة تحت عنوان « أيها المزارع « تجلى الروح العلمي ، ونجمت البادرة البكر في علاج الأرض .. حيث جاء: « يجمل بنا نحن الكتاب كافة أن نواصل البحث في الزراعة ، لأنها المصدر الوحيد للثروة والعمل الأول في جلب الخيرات والبركات والطيبات من الثمرات .. بل هي السعادة لكل حي .

أن معظم بلادنا – بلاد زراعية . وأكثر أراضينا مزارع وحقول وبساتين وكروم وبيادر من فضة مدفونة .. نزرع السنبلة ، اليوم ، فتعطينا خمس سنابل . ونغرس الحبة فتحمل عشر حبات .. ولكن أذا استحضر فما ألات الزراعة الحديثة ، وحرثنا بها الأرض على أصول الفن وقواعد العلم .. نأخذ من السنبلة مائة سنبلة وتعطينا الحبة ألفا من الحبوب كما هو مشاهد في أوربا وأمريكا .. في حين أن بلادنا أطيب تربة ، وأصلح مغروسا ، وأجود كفا ، أجرى بنانا «

وتحت عنوان « كل من « نفحة رائعة من نفحات الأيمان ، فـ«كل من له المام بمعرفة الواجب ، وكل من شعر بما أن له وعليه من الحقوق ، وكل من سعى وراء غاية لا طمع فيها .. فذلك الشخص مهما كانت معرفته ومنزلته ، أقر لم يقر ، رضى أم لم يرضى – أنه يؤمن بالله ، ويقر بوجود الخالق « . وتحت « أيها النهر !! « نجوى شاعرية ، تتدفق فلسفة .. وهذه أمشاج منها .. « كنت ينابيع صغيرة أيها النهر .. أجدتها الأمطار المتبخرة على الأرض .. تسير على الحصباء متغلغلة بين الحصى ، يجمعها تارة ، ويفرقها أخرى .. الى أن ضمت الى بعضها قليلا فأصبحت جداول لا تذكر . بيد أن الجداول الصغيرة اجتمعت وإذا بك النهر الكبير ، يهتم بك الجميع . لقبوك بإسمك ، وسموك في الخرائط ، وزادتك السواقي قوة فوق قوة .. فجئت تنصب في أديتك النهائية «

أما « فكاهات « العدد فكانت أربعا ، أجملها ما يلي : « الأول ـــ أريد أحيانا أن أتمرن على الكتابة ، ولكني استصعب انتقاء الموضوع .

الثاني ـــ أكتب في موضوع : الدهر عدو الأدباء « .

وفي المجلة ، غير هذا ، ما يستوقف القارئ يدعو الى التأمل فتحت عنوان « يغيظني « سجل الكاتب ما أراد أن يقول بكل ما يملك من جرأة وشجاعة .. وهذا هو يقول : يغيظني « أن أرى الخداع و الغش يظهران في أعظم رجال وضعنا بهم الثقة في الأمور الحيوية ، والذي يحث الناس على التبرع لأجل الوطن وهو لا يتبرع بنصف معليك لفقير ،والصحافي الذي متى شعر بان الكذبة كبيرة يقول بلغنا ذلك عن مصدر وثيق ، والصحافة العربية لأنها أصبحت ميدانا لمباراة المتطفلين على موائد الكتابة والصحافي الذي يملأ جريدته أو مجلته بالمانداة بالدين والوطنية وهو مجرد من الأمرين« .

وعلى النقيض من ذلك كان من تحت عنوان « يبهجني « ، فالذي « يجعل نشر الحقيقة غرض حياته «أنما هو أحد خدمة الحق والخير ، وهذا حقيق بأن يكون من مصادر البهجة . واستوعب موضوع « الدواء الشافي» ما يجب أن لا يجهله المرء في علاج ضعف السمع ، وألم القلب ، والفشل ، وسوء الهضم .. وغير ذلك .

ومما جاء في هذا الصدد : « أن كنت مصابا بداء الكسل فليس لك دواء غير القبر .. وهذا هو الدواء الشافي لمرضك « .

وفي « المنتخبات « الطريف الطريف من الأخبار ، فهنا سؤال عما يحل بالملكات فيما لو جار الزمان وخسرن أزواجهن ومقامهن. وهناك ما يضارعه عن الملوك وفي مكان أخر ما يبشر الناس بأمكانية نقل الأطفال بطرود بريدية خاصة .

كما تضمنت هذا المنتخبات معلومات جديرة بالإهتمام عن عدد الكلمات القاموسية عند الأنكليز ومقارنتها باللغات: الألمانية والفرنسية والأسبانية و الأيطالية ، عما يجب أن تقوم به المرأة الهندية في حياتها الخاصة ، فهي مثلا « أذا غاب زوجها وجب عليها أن تصوم على الأرض مدة غيابه « .

أما حكاية العدد الأول الرياحين فهي قصة فرنسية خفيفة ، استغرقت صفحة واحدة .

والقارئ الذي يأتي عليها سيجد في النهاية «أعلانا» عن بيع ديوان إبراهيم منيب الباجه جي بثلاثة غروش صاغ لمن كان في خارج بغداد .. « فلينتهز الراغبون هذه الفرصة «.

ذلكم هو محتوى العدد الأول من الرياحين ولا يملك القارئ بعد أن يعلم أنها كانت تصدر أيام الأحتلال العثماني في بغداد ـــ الا أن يتعجب ، ويستغرق في تفكير عميق، ويحني رأسه تحية لمن وقف حياته على خدمة العراق .

مجلة بغداد ١٩٦٥

العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

من ملامح توسع بغداد وتطورها قبل ثمانين عاما

■ حيدر عطية كاظم

بغداد عام ١٩١٧

تقع مدينة بغداد، التي يعود تأسيسها إلى القرن الثامن الميلادي منتصف القرن الثاني الهجري، على نهر دجلة، يشطر هذا النهر الخالد بغداد، إلى شطرين أو جانبين، الجانب الذي يقع على ضفة النهر اليسرى يسمى الرصافة، والذي يشكل حوالي ثلاثة أرباع بغداد، أما الجانب الأيمن منها فيعرف بالكرخ. بلغ عدد سكان مدينة بغداد، التي كانت تقدر مساحتها بسبعة كيلومترات مربعة وتحيط بها البساتين من معظم جهاتها، في بداية تأسيس الدولة العراقية المعاصرة وتحديداً في سنة ١٩٢١، حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، ١٥٠ ألف منهم في جانب الرصافة والخمسين ألف الأخرى ضمهم جانب الكرخ.

لابد من الإشارة هنا، أن أول تصميم أساس لمدينة بغداد في تأريخها الحديث يعود إلى العام ١٩٢٠، عندما وضع المهندس المعماري البريطاني "جي. أم. ويلسون" (G.M.Willson)، تصميماً أساسياً، اقترح فيه إعادة تنظيم المدينة واستحداث وحدات وأحياء سكنية في عدد من مناطق بغداد .

مرت بغداد منذ انبثاق الحكم الوطني بمراحل نمو وتوسع ملحوظين، شأنها في ذلك شأن أغلب العواصم في العالم، فقد شعرت الحكومات العراقية، التي لاحظت التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها المملكة العراقية، بالحاجة إلى تكليف إحدى الشركات الهندسية الاستشارية سنة ١٩٢٣ لوضع تصميم أساس لمدينة بغداد، ليكون خارطة تفصيلية يسير على ضوئها توسع بغداد التي استلزمتها تلك التطورات.

شهدت بغداد على أثر ذلك حركة عمران معينة، وظهور عدة أحياء في جانبي المدينة، فقد توسعت الأعظمية شمالاً وبمحاذاة النهر، كما توسعت الكرادة من جانبها على حساب البساتين التي كانت واقعة جنوبها، بينما تحول مجمع السكك الحديدية في الكرخ وما جاوره إلى أحياء عصرية تعج بالحركة والنشاط.

انتشرت في أواخر عشرينيات القرن الماضي ظاهرة جديدة تمثلت في سعي الكثير من المسؤولين بالاستحواذ على البساتين التي كانت تحيط ببغداد بطرق شتى بعدما لاحظوا ارتفاع أسعار الأراضي السكنية في بغداد، بهدف الحصول على أكبر مساحة ممكنة تحقيقاً للأرباح الكبيرة.

لقد ظهرت مع مرور الأيام والسنين أحياء ومحلات سكنية عديدة في بغداد. ففي سنة ١٩٣٠ أنشأت محلة السعدون، وتوسعت الأعظمية توسعاً ملحوظاً، وتأسست محلتا راغبة خاتون، وهيبة خاتون، كما امتدت محلة باب الشيخ إلى أكثر من جانب، أما الكرادة الشرقية فقد نمت سنة ١٩٣٣ نمواً كبيراً وبنيت فيها مئات القصور، وشقت الشوارع الواسعة فيها بعد أن كانت بمثابة قرية صغيرة ضمت بعض القصور لأغنياء بغداد. وعلى أطرافها كانت هناك مساكن من اللبن. ولا بأس من القول هنا، إن توسع بغداد ونموها في ثلاثينيات القرن الماضي كان باتجاه الشمال والجنوب أيضاً، ولكن بمحاذاة نهر دجلة، غير أن ذلك لم يكن مبنياً على الخطط الهندسية العلمية وإنما، كان أقرب إلى العشوائية. ولكن مع ذلك، أخذت تظهر في بغداد وابتداءً من ثلاثينيات القرن العشرين أحياء جديدة امتازت بطراز معماري جديد إذا لم نقل غريباً، امتازت بضخامة بيوتها وكثرة عدد الغرف فيها، فضلاً عن تكون بعضها من طابقين. وهكذا ظهرت ضاحية الوزيرية، بعد أن جرى تقسيمها إلى أراضي سكنية، كما شهدت الفترة ذاتها تطور منطقة العيواضية على ضفاف نهر دجلة، ونتيجة لذلك التوسع ظهرت في جانب الرصافة من مدينة بغداد ضواحٍ وأحياء سكنية جديدة.

حتم ازدياد عدد سكان بغداد، على استمرار تمدد أحياء بغداد السكنية، لاسيما نحو جنوب الرصافة. كما أدى اتساع ظاهرة استخدام السيارات فيها إلى فتح عدة شوارع أهمها شارع غازي (الكفاح) الذي شق سنة ١٩٣٦. ومما يلفت النظر هنا، أن البعض بدأ باستثمار أمواله في إنشاء العمارات الحديثة والمساكن الواسعة.

وأياً كان الحال، فقد ظهرت في أربعينات القرن الماضي أنماط حديثة من البيوت في مدينة بغداد، كانت تختلف بعض الشيء عما كان موجوداً فيها، وهو نمط البيوت المتصلة وذات المساحات الكبيرة نسبياً تصل إلى أكثر من ٣٠٠م٢، وتحيط بها حدائق خاصة في مقدمتها، ويعد هذا النمط من البيوت هو التوسع الثاني في مدينة بغداد كما يؤكد أحد الباحثين.

لقد ظهر ذلك النوع من العمران في محلات البتاوين، والعلوية، وكرادة مريم، ومحلة هيبة خاتون، في الأعظمية، إلى جانب ذلك كله، أخذت الدور الراقية ترتفع في منطقتي الوزيرية، وبارك السعدون، والمنطقة الممتدة ما بين الأعظمية وبغداد القديمة، على شكل شريط ممتد مع النهر. دفع ذلك التوسع الذي شهدته بغداد أمانة العاصمة بمحاولة القيام ببعض المشاريع الخدمية، كفتح بعض الشوارع، وبناء شبكات الماء الصافي، وإنشاء شبكات المجاري في بعض الأحياء، حسبما تؤكد أحدث دراسة أكاديمية عن بغداد.

وبحكم هذه الحقيقة، تم فتح الشارع العرضاني لجسر الملك فيصل الأول (جسر الأحرار حالياً) ، وشارع المهدي في الكرادة، وشارع بني سعيد، وشارع زيد بن ثابت، فضلاً عن إنشاء شبكة من الشوارع في باب الشيخ، وشارع عمودي متصل بشارع أبي نؤاس. من جانب آخر، أنشيء مجرى للمياه القذرة تبدأ من محلة باب السفينة في الأعظمية حتى نهر دجلة، وتم إنشاء مجرى للمياه القذرة والأمطار في جانبي شارع الملك غازي ابتداءً من ساحة زبيدة حتى ساحة الفضل.

لاحظ أحد الدارسين لتطور ونمو مدينة بغداد العمراني أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

(١٩٣٩-١٩٤٥) تميزت بوجود رغبة عند بعض البغداديين في تشييد دور لهم في الضواحي المحيطة ببغداد، التي كانت في الأصل بساتين والتي كانت تمتد على ضفتي نهر دجلة في جانبي الرصافة والكرخ، كان في مقدمتهم الملاك، وعدد من شيوخ العشائر وكبار موظفي الدولة، إذ قاموا بإبتياع مساحات كبيرة، ولم يكن هدفهم تحقيق الأرباح بعيداً عن مخيلة أولئك البغداديين.

تشير المعلومات المتوفرة بين أيدينا إلى أن بعض الملاك لم يكتف بالأرباح الكبيرة التي حققها من جراء ذلك وإنما، أخذ بالاتفاق مع من لا يملك سكناً، على أن يبني المحتاج إلى سكن، داراً يسكنها كمؤجر ولمدة ثلاثين سنة يدفع خلالها بدل إيجار عن الأرض فقط، وبعد انقضاء المدة تعود الدار إلى صاحب الأرض، وهو ما عرف في بغداد ب "العرصات" التي سرعان ما ظهرت في كمب الكيلاني وكرادة مريم والكسرة وغيرها.

لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا هنا، إن تهافت كبار ملاك الأراضي والتجار وغيرهم على شراء الأراضي الواسعة حول مدينة بغداد أدى إلى ارتفاع أسعارها ارتفاعاً كبيراً وغير مسبوق في تاريخ المدينة المعاصر، فقد وصل سعر المتر المربع الواحد، الذي كان سعر شرائه أقل من خمسين فلساً، إلى دينار، أي أن أسعار الأراضي السكنية قد ارتفعت حوالي ٢٠ ضعفاً، كما يذكر أحد المعاصرين.

ظهرت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية محاولات لبناء أحياء جديدة في مدينة بغداد، فقد أسست شركة خاصة لإنشاء الدور الحديثة، عندما أتفقت مجموعة من أصحاب الأموال من عراقيين ومصريين على تأسيس شركة خاصة بإنشاء الدور، عرفت بشركة بغداد الجديدة على غرار شركة مصر الجديدة. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن شركة بغداد الجديدة اعتمدت تصاميم لمدينة نموذجية وضعها حسن فتحي وهو أشهر المعماريين المصريين آنذاك، واتجهت لبناء الدور وتمليكها للراغبين، غير أن المحاولة لم يكتب لها النجاح، بسبب تعرض المنطقة للفيضان، ومنافسة الشركات الأخرى، لاسيما شركة المنصور التي اتجهت لبناء الدور في غرب بغداد، وهي شركة ذات حظوة عند البلاط الملكي، وكون المنطقة المذكورة قريبة إلى بغداد وبعيدة عن أخطار الفيضان .

كانت مدينة بغداد تضم في منتصف القرن الماضي عدة مناطق، أو ضواحي كبيرة، أهمها الواقعة على جانب الرصافة، مثل الأعظمية، المتكونة من أحياء تحتوي على البيوت المعاصرة والقصور الجميلة والحدائق الغناء، والكرادة التي احتوت على قصور تجار بغداد ووزراء الدولة وكبار موظفيها، وتجدر الإشارة إلى أن جانب الرصافة أحتوى على أحياء جديدة أهمها السنك. أما جانب الكرخ فقد ضم مدينة المنصور وما يتبعها من ساحة لسباق الخيل، وتليها عمارات مدينة المأمون التي أنشأتها المصارف الحكومية لذوي الدخل المحدود، والسفارة البريطانية التي تحولت المنطقة المحيطة بها إلى محلة سكنية. واحتوى جانب الكرخ على عدة مباني حكومية مثل قصري الزهور والرحاب. وشهد العقد الخامس من القرن الماضي بناء البلاط الملكي الذي أصبح القصر الجمهوري ومجلس الأمة الذي عرف فيما بعد بالمجلس الوطني.

ضمت مدينة بغداد من بين ما ضمت بين جنبات أحيائها، وحولها خاصة، خلف السدة الشرقية، بؤر أو قل أحياء من الصرائف، كانت تمثل عالماً آخر، أهم ما يميزه الفقر والحرمان من أبسط مستلزمات الحياة وشروطها.

بدأت الهجرة على شكل أعداد قليلة متسللة من لوائي العمارة والكوت، وبعض الألوية الجنوبية. سكن أولئك المهاجرون، الذين أخذوا يعملون في المهن الوضيعة كحضائر الخيول، في خانات منطقة الفضل، وببدل إيجار شهري قدره ٢٥ فلساً ومع مرور الأيام ازداد وصول الفارين من نار الإقطاعيين إلى مدينة بغداد، لدرجة أن الخانات لم تعد قادرة على استيعابهم، فأخذوا يبنون لهم "مساكن" خاصة بهم في الفراغات الموجودة بين بيوت بغداد وأحيائها والمساحات العامة ولما كان الفلاح المهاجر لا يعرف سوى الصرائف التي اعتاد عليها في حياته السابقة من جهة، وقلة تكاليف موادها من جهة أخرى، فضلاً عن سهولة فتحها وطيها ومن ثم حملها إذا اقتضى الأمر،وعليه فقد أقدم الفلاحون المهاجرون على بناء صرائفهم في بغداد التي لم تختلف عن مثيلاتها في الريف، خاصة في طريقة بنائها ومساحتها التي لم تتجاوز الثلاثين متراً مربعاً في أفضل الأحوال، مع خلوها من الأثاث تقريباً ما عدا صندوقاً يضم ملابسهم، ونادراً ما تحتوي الصرائف على سرير حتى وان كان من سعف النخيل للمنام.

لقد ظهرت أول مجموعة صرائف بالقرب من محطة قطار شرق بغداد، وبمرور الأيام ازدادت الصرائف في تلك المنطقة التي أصبحت تسمى بمحلة الخندق. كان المحظوظ من سكان تلك المنطقة هو من وجد فرصة عمل في أحد المعامل القريبة خاصة معامل السكائر.

كما أدى قبول الجيش للمتطوعين من الفلاحين في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية إلى ظهور تجمع آخر من الصرائف في الكرخ بالقرب من معسكر الوشاش (منتزه الزوراء حالياً) عرف ب"المعيدية". أياً كان الأمر، فإن "أحياء" الصرائف أخذت بالازدياد سنة بعد أخرى، فقد قدر عدد الصرائف في سنة ١٩٤٠ بثمانية آلاف صريفة تأوي قرابة ٤٠ ألف مهاجر.

أدى الاحتلال البريطاني الثاني للعراق سنة ١٩٤١، وتمركز القوات البريطانية في مدن العراق ومنها مدينة بغداد، إلى ظهور الحاجة الماسة للأيدي العاملة لإقامة معسكرات الجنود، وبناء الطرق، وكان ذلك بمثابة عامل مشجع للمظلومين من أبناء الريف بالهجرة إلى بغداد خاصة، فظهرت "أحياء" جديدة من الصرائف أهمها الشاكرية شمال قاعة الخلد بالكرخ التي تقدر مساحتها بـ٢٥كم٢ العائدة أصلاً لشاكر الوادي وزير الدفاع. ولما كان شلال المهاجرين مستمر فإن السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية شهدت ظهور منطقة أخرى للصرائف في الوشاش شمال مدينة المنصور الحالية .

وفي الوقت نفسه (١٩٤٣) ظهرت واحدة من أهم أحياء الصرائف في مدينة بغداد ألا وهي منطقة "العاصمة" الواقعة شرق سدة ناظم باشا وتحديداً في المنطقة التي يشغلها مستشفى الجملة العصبية(حالياً) وجنوبه حتى بغداد الجديدة والتي تقدر مساحتها بـ١٥كم٢ وكان بناؤها العشوائي وغير المنظم لا يختلف عن بقية أحياء الصرائف الأخرى، وكان جل سكان هذه المنطقة هم من العاملين في معامل الطابوق الواقعة شرق تلك المنطقة في مكان ليس بعيداً عن قناة الجيش الحالية.

ومما يجدر ذكره هنا، إن موظفي الدوائر الرسمية أطلقوا على منطقة العاصمة أسم "خلف السدة"،وكانت تتصل بالرصافة من ثلاث جهات رئيسية، جهة باب الشيخ، وجهة ساحة الطيران، فضلاً عن جهة القصر الأبيض. وغدت هذه المنطقة بعد اكتضاضها بالمهاجرين خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وما تلاها محلات متلاصقة بعضها مع البعض، كل محلة سكنها أبناء عشيرة واحدة تقريبا، لكن مع ذلك علينا أن نسجل هنا، أن أولئك المهاجرين ولئن تحرروا نسبياً من بعض القيود العشائرية، فإنهم أقاموا علاقاتهم مع بعضهم ومع العشائر الأخرى على أساس النظم والتقاليد العشائرية.

إن الحديث عن صرائف منطقة "العاصمة" لا يتكمل إلا بالحديث عن "شطيط" (النزيزة) وهو عبارة عن نهير صغير لا يتجاوز عرضه المترين، كان يحاذي أسفل الجانب الشرقي من السدة مباشرة، ليمتد حتى مصب نهر ديالى، وكانت صرائف "العاصمة" واقعة على الضفة الشرقية لذلك النهير، الذي وجد أساساً لتخفيف الضغط على السدة في أوقات الفيضانات، وتحول مع مرور الأيام إلى نهر تصرف إليه المياه الثقيلة لأحياء باب الشيخ والبتاوين وبقية أحياء الرصافة، وكان عبارة عن مستنقع دائم للمياه الآسنة، وزاده سوءاً اتخاذه بعض أبناء تلك الصرائف مرتعاً لجاموسهم. ولم نبالغ إذا ما قلنا إن البعض من أطفال تلك المنطقة اتخذه "مسبحاً".

إلى شمال منطقة "العاصمة" ظهر تجمع آخر وكبير للصرائف والذي عرف بمنطقة "الميزرة" الواقعة شرق مجزرة الشيخ معروف، وقد بلغت مساحة هذه المنطقة، التي تشغلها حالياً كراجات ساحة النهضة والتي كانت بالأساس مقابر لليهود، بحوالي ١٠كم٢.

ربما يكفي القول، إن اختيار المهاجرين إلى أراضي بغداد الواقعة شرق السدة، مكاناً لبناء صرائفهم كان بتأثير عدة عوامل وظروف، أهمها، إن إمكانية امتداد العمران إليها معدومة تقريباً، لتعرضها للغرق بفعل الفيضانات بين الفينة والأخرى . فضلاً عن ذلك فان تلك الأراضي إما زراعية أو موقوفة أو مهملة، ولا أحد يطلب منهم "المهاجرين" إيجاراً عندما يسكنوا فيها، كما لم يلعب وقوع الأراضي موضوع البحث بالقرب من أحياء بغداد الفقيرة دوراً قليلاً باتخاذها مكاناً لسكنهم. ولا ننسى أن نضيف هنا أن منطقة شرق السدة كانت مكتظة بالمعامل والمصانع والكراجات التي كانت تربط بغداد بالألوية الجنوبية، كما كانت فيها محطة قطار بغداد-كركوك، وعلاوي الخضروات والفواكه في بغداد.

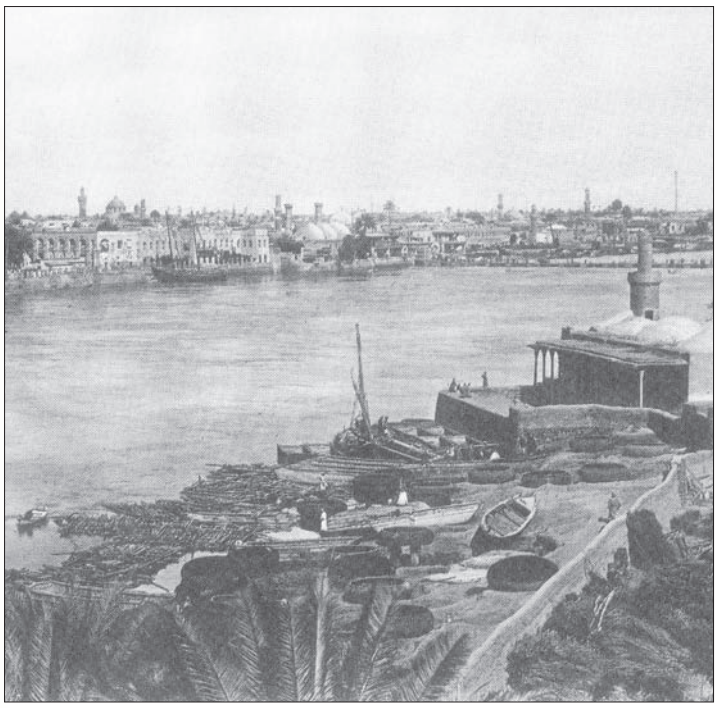

شريعة القمرية في الكرخ سنة ١٩١٤

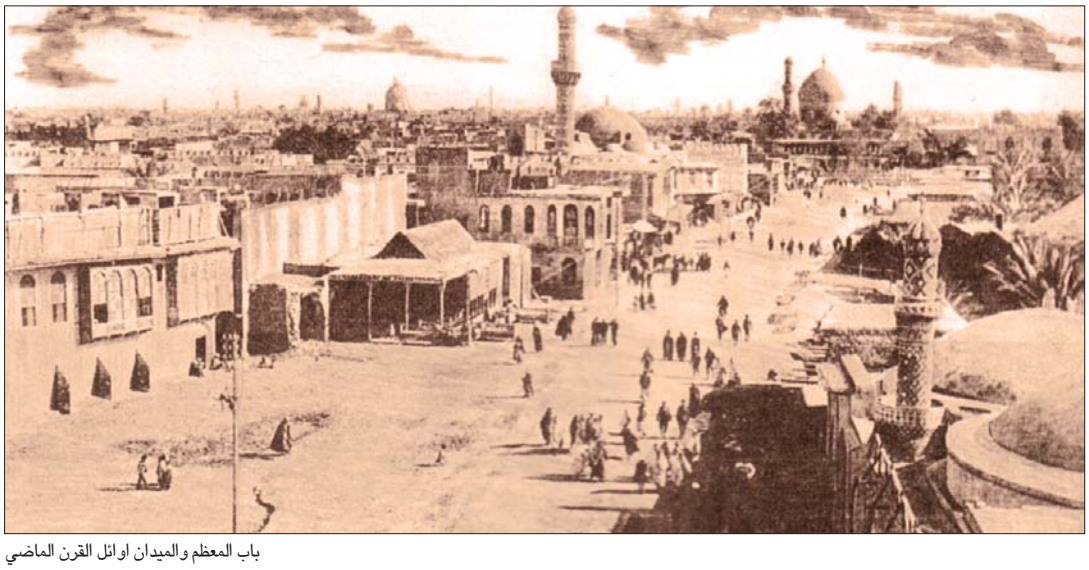

باب المعظم والميدان اوائل القرن الماضي

العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

الزهـــاوي في اليمن

■ د. علي حداد

مارس الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) في مقتبل حياته العملية وظائف عدة، فقد اشتغل مدرساً في بغداد، ثم أصبح عضواً في دائرة معارفها. وفي العام ١٨٩٠م عين مديراً لمطبعة ولاية بغداد، ثم رئيساً لتحرير القسم العربي في جريدة (الزوراء) الرسمية التي صدرت آنذاك. وبعد سنتين من ذلك أصبح عضواً في محكمة استئناف بغداد، وهي الوظيفة التي بقي فيها حتى العام ١٨٩٦م ، حيث غادر إلى عاصمة الخلافة العثمانية (اسطنبول) بدعوة رسمية من السلطان (عبد الحميد) الذي وصلت إليه شهرة الزهاوي ، بوصفه شاعراً وفيلسوفاً مجدداً له مكانته البارزة ، بعد أن كانت كثير من الصحف التركية والعربية تنشر قصائده ومقالاته، وفي أكثر من قطر ومدينة.

الزهاوي اثناء وجوده في اليمن

مرّ (الزهاوي).وهو في طريقه إلى اسطنبول .على بلاد الشام ومصر فحظي هناك بكثير من الحفاوة و التقدير، وأقيم على شرفه أكثر من احتفال، ألقى فيها بعض قصائده، وناقش عدداً من العلماء والأدباء فيما تحقق له من أفكار فلسفية وعلمية خاصة.

وبعد مدة من وصول (الزهاوي) إلى عاصمة الخلافة، كانت الحرب قد اندلعت بين الجيشين العثماني واليوناني. وحين انتصر العثمانيون سارع الزهاوي بنظم قصيدته (الفتح الحميدي) التي أشاد فيها بذلك الانتصار ومدح السلطان (عبد الحميد) في ثناياها الأمر الذي استحسنه الأخير، فصدرت إرادته السلطانية بتكريم الزهاوي ، وتعيينه واعظاً عاماً في اليمن التي سافر إليها في أواخر العام ١٨٩٧م ، بصحبة اللجنة الإصلاحية التي عينها السلطان لتقصي أوضاع اليمن ، واقتراح الحلول لمشكلاتها التي تفاقمت آنذاك.

وقد قضى الزهاوي في اليمن ما يقارب السنة، قام فيها بمهمته على نحو نال فيه الإعجاب، ليمنحه السلطان عبد الحميد .بعد أن استدعاه إلى اسطنبول .رتبة دينية هي (بلاد خمس الموصلة) ، وينعم عليه بوسام السلطنة من الدرجة الثالثة.

يعرف من يطلع على تاريخ اليمن في العصور المتأخرة أنها خضعت للحكم العثماني على فترتين : الأولى وتمتد من العام ١٥٣٨م وحتى ١٦٣٥م ، أما الأخرى فوقعت بين الأعوام ١٨٧٢م، وحتى انسحاب العثمانيين من اليمن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م.

وفي كلا الفترتين لم تكن اليمن سلسلة الانقياد للعثمانيين .كما كانت عليه الحال في كثير من الأقاليم العربية الأخرى .بل كانت مصدر متاعب دائمة وثورات قبلية، لا تهدأ أحداهن حتى تكون قد تركت جمرتها متأججة في مناطق قبلية أخرى، وهو ما فرض على الحكم العثماني لليمن حالة من عدم الاستقرار، وكلفه أثماناً باهظة. ولاسيما في المرحلة الثانية التي شهدت تولي السلطان(عبد الحميد) الخلافة في العام ١٨٧٦م، أي بعد الاستيلاء على اليمن بأربعة أعوام.

كانت قد برزت في العهد الأول من حكم هذا السلطان دعوات للنهوض بالدولة العثمانية وإصلاح شؤونها المختلفة، لتستطيع مجاراة الدول الغربية فيما تحقق لها من تطور علمي واجتماعي وسياسي كبير.

وقد ظهر بعض المثقفين المتنورين من الترك والعرب وسواهم من أبناء القوميات المنضوية تحت الهيمنة العثمانية الذين نادوا بفكر الإصلاح والنهوض العلمي، والتغيير السياسي في أساليب الحكم ، من خلال إشاعة الروح الديمقراطية وإقامة المجالس النيابية ، للحدّ من الهيمنة المطلقة لسلطة الدولة و الحكم المركزي الذي يقف السلطان العثماني في قمة هرمه، ويستبد بسلطات لا راد لأحكامها.

ويبدو أن السلطان عبد الحميد قد رضخ. في بادئ حكمه .لتلك المطالب ،فصدر عنه ما سمي بـ (القانون الأساس) الذي ينظم شؤون الدولة والأقاليم المنضوية تحت سلطانها، حيث كفلت فيه الحرية الشخصية، وأرسي مبدأ الانتخاب لمن يمثلون الأقاليم في مجالس الدولة ، وضمنت حرية العمل والتعليم وإبداء الرأي من خلال وسائل النشر المختلفة.

ولكن هذا القانون لم يتح له أن يظهر فاعلاً في الواقع، فقد عطله السلطان عبد الحميد بعد صدوره بمدة ، إذ ضاق ذرعاً بما كان يطرحه كثير من النواب المعارضين من أفكار وانتقادات شديدة، لم تنل من الحكومة

جميل صدقي الزهاوي

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

وحدها بل شملت السلطان نفسه.
وهكذا عادت الدولة العثمانية إلى الحكم المطلق للسلطان، ومن بعده للقومية التركية التي لم يكن ليسمح لغير أبنائها بتولي المناصب السياسية والعسكرية العليا في الدولة، وكذلك في أقاليمها المختلفة التي حرم أبناؤها غير الناطقين بالتركية من العمل في إدارتها ، إذ اللغة التركية وحدها هي لغة الدولة في المركز والأقاليم. ومنها الأقاليم العربية طبعاً .كما نص على ذلك الدستور العثماني . ومع اللغة التركية أيضاً فقد عدّ لبس الطربوش التركي الأحمر سمة فارقة لكل العاملين في وظائف الدولة، وشرطاً إجبارياً لمن يسعى إلى تلك الوظائف.
ولعل هذه النزعة التي لا تخلو من شوفينية واضحة كانت من بين أسباب عدة أيقظت الروح القومية عند العرب وسواهم من القوميات، فقد وجدوا أنفسهم مهمشين حتى في بلدانهم، ولا تتذكرهم الدولة إلا حين تدعوها الحاجة. ولاسيما العسكرية. لحشدهم وتسخيرهم في الشأن الذي تريد. كما كان لولاة الأقاليم العربية من الأتراك وسياستهم الاستبدادية القاسية . وما ارتكبوه من فضائع وفضائح طالت كثيراً من المدن وأهلها . أثرها في إيقاظ رابطة التواصل بين مختلف الولايات العربية وتأجيج الشعور بضرورة دعمها والوقوف معها، وهي تواجه العنت التركي، كما كانت الحال عليه في اليمن آنذاك.
يشير أحد المؤرخين إلى أن الحكومة العثمانية لم تكن ترسل إلى اليمن : "إلا كل مغضوب عليه من الموظفين ،غير ناظرين إلى المقدرة العلمية والأهلية الشخصية. فكان هؤلاء يسيئون استعمال وظائفهم، ويرتكبون الموبقات والمحرمات، ويتبادلون الهدايا والرشوات". (فاروق عثمان أباظة، الحكم العثماني في اليمن، دار العودة، ط٢، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٠ وما بعدها).
لقد عدّ أولئك الموظفون الذهاب إلى اليمن بمثابة نفي لهم، وهو ما أشعرهم بالكراهية والحقد على كل ما حولهم ، فكان هذا الفهم وذلك الشعور ينعكسان في تصرفاتهم، فتحولت كراهيتهم هذه لمهمتهم إلى نقمة على الشعب اليمني .
وكان العثمانيون قد فرضوا على اليمنيين أنواعاً من الضرائب والرسوم، ليتمكنوا بوساطتها من تغطية نفقات القوات العثمانية في ولاية اليمن ومرتبات الموظفين... وإرسال ما تبقى بعد ذلك إلى خزانة الدولة العثمانية المجهدة. ولا شك في أن هذه الضرائب وتلك الرسوم ضايقت اليمنيين كثيراً، نظراً لأنهم لم يعتادوها من قبل. كما أنهم كانوا يدفعون أنواعاً أخرى منها في نفس الوقت، تمثلت في الزكاة والعشور وغيرها... وقد نتج من ذلك أن ناء اليمنيون بحملهم وأرهقتهم الضرائب بأنواعها المختلفة، مما جعلهم يتهربون من محصليها العثمانيين.
وقد استخدم العثمانيون أساليب الضغط والإرهاب في تحصيل هذه الضرائب من أنحاء اليمن. وأساء بعض الولاة استعمال سلطانهم في هذا السبيل... حتى أنهم لم يتورعوا في سجن الشيوخ والعلماء، والاستيلاء على أملاكهم ومصادرتها . وذلك وغيره ما أجج روح الغضب والرفض في نفوس اليمنيين، وأشعل ثورات القبائل وتمردها المتواصل، ومنذ الأشهر الأولى لدخول العثمانيين الثاني والأخير إلى اليمن. فقد ثارت قبيلة (الحدا) في العام ١٨٧٢م، مما دفع الجيش العثماني إلى مهاجمتها وقتل كثير من أبنائها، بما فيهم شيخها. كما ثارت قبيلة (خولان) في العام ١٨٧٣م، وكذلك فعلت قبيلتا (أرحب) و(حاشد) .
لقد بقيت ثورات القبائل اليمنية مشتعل أوراها طيلة سنوات ذلك الحكم. وكان أشدها ما وقع في العام ١٨٩٢م، حين قامت القبائل اليمنية التي سئمت الحكم التركي بتجميع قواها، ومهاجمة العثمانيين في مختلف أنحاء اليمن، لتهزمهم وتكسر شوكة عنجهيتهم العسكرية حتى لم يبق لهم إلا أن يحتموا داخل مدينة صنعاء التي حاصرتها القبائل من جميع الجهات، الأمر الذي استدعى من العثمانيين جلب أكثر من أربعة آلاف جندي من خارج اليمن، مزودين بالمدافع الثقيلة لفك ذلك الحصار، ومن ثم ملاحقة القبائل اليمنية والتنكيل بها، وهو ما كلف العثمانيين أثماناً فادحة من الخسائر البشرية والمادية، بما لم تستقم الأوضاع بعده للعثمانيين في اليمن، وزاد من الخراب وانتشار الفساد الإداري، وعزلة الجيش التركي، وبالمقابل المعاملة القاسية والإرهاب المتواصل للسكان، ومطاردة المشايخ والعلماء ومصادرة أملاكهم التي كان الولاة العثمانيون يسارعون إليها كنوع من العقاب لمن يتمرد على سلطتهم.
إزاء ذلك كله لم يجد السلطان عبد الحميد أمامه سوى إرسال البعثات المتلاحقة إلى اليمن للإطلاع عن كثب على هذا الذي يجري فيها، واقتراح الحلول والإجراءات لتهدئة أوضاعها، وتطيب خواطر أبنائها، وكان من بين البعثات واللجان الكثيرة التي بعثها السلطان إلى اليمن تلك التي جاء الشاعر العراقي (جميل صدقي الزهاوي) فيها.
لم نجد في الوثائق والمؤلفات التاريخية المتداولة في معظم المكتبات اليمنية، والتي تناولت هذه المرحلة من تاريخ اليمن، ما يشير إلى مجيء الزهاوي إلى صنعاء، وإقامته فيها مدة عام كامل. وهو الأمر الذي أبقى كثيراً من الأسئلة عن طبيعة ما قام به الزهاوي من أعمال، وما تم له أن يقيمه من صلات مع علماء اليمن وأدبائها، وما نظمه من شعر. من دون إجابات يقينية.
وعلى هذا فلم يكن أمامنا إلا أن نلجأ إلى ديوان الشاعر، كونه الوثيقة الوحيدة التي تيسرت بين أيدينا، لنقف عندها متأملين تلك الإشارات الشعرية المتناثرة بين أبيات قصائده التي تحيل إلى استعادة ما تركته زيارته إلى اليمن من تأثير في مسار حياته اللاحق وفي مواقفه من الحكم العثماني التي راح يصدح بها، وعلى نحو فيه كثير من الجرأة والتحدي.
لقد عاد الزهاوي بعد تلك السنة التي قضاها في اليمن إلى اسطنبول وقد امتلأت نفسه بكثير من الأسى والغضب، لما عاينه من سوء الإدارة، وفساد الولاة والموظفين الأتراك، وقسوتهم الشديدة على أبناء تلك البلاد. وهو الأمر الذي أدى بالزهاوي إلى أن ينضم إلى بعض التجمعات المعارضة لحكم السلطان عبد الحميد الاستبدادي وأن يجعل من شعره وسيلة لفضح مساوئ هذا الحكم، وهو ما توالت قصائده فيه التي كان ينشر بعضها باسم مستعار.
ولم يكتف الزهاوي بفضح سياسات الحكومة العثمانية وموظفيها الذين عايشهم عن قرب في تلك المدة، بل اتسع ذلك عنده ليشمل السلطان نفسه الذي راح يوجه إليه الخطاب مباشرة، وبنبرة حادة، تجلت في أكثر من قصيدة عنده، لعل أشهرها قصيدته التي وضع لها عنواناً دالاً هو : (حتام تغفل) لتكون أول قصيدة تحمل عنواناً خاصاً في العصر الحديث، بعد أن كانت عناوين القصائد هي أغراضها من مديح ورثاء وغزل ووصف وسواها.
خاطب الزهاوي في هذه القصيدة السلطان عبد الحميد لا ليقدم له المديح أو فروض الطاعة كما فعل سواه من الشعراء، أو كما صنع هو في مناسبات سابقة، بل ليدعوه إلى الاستيقاظ، وإدراك ما آلت إليه الأمور في ظل حكمه.
إن عبد الحميد .كما رآه الزهاوي. يعيش في حالة من الغفلة المطبقة فلا يدرك ما يحصل حوله، ومن واجب الزهاوي أن يصدح بذلك أمامه، من خلال سؤال استنكاري : حتام تغفل؟ ، الذي أعاد تكراره في البيت الأول من القصيدة:

ألا فانتبه للأمر حتام تغفل أما علمتك الحال ما أنت تجهل

وحين يشعر الزهاوي أنه قد انتهى من رجّ الذات الغافلة للسلطان ، وأنه قد أيقظها لتسمع ما ألت إليه أحوال الدولة ، فإنه ينتقل ليخبره عن أفعال ولاته والقائمين بأمور دولته :

لهم أثر للجور في كل بلدة
يمثل من أطماعهم ما يمثل

إذا نزلوا أرضاً تفاقم خطبها
كأنهم فيها البلاء الموكل

وهي الصورة ذاتها التي يرسمها لهم في قصيدة أخرى، خاطب فيها السلطان عبد الحميد أيضاً:

قست قلوب ولاة أنت مرسلهم
كأنما الله لم يخلق بها لينا

تراهم أغبياء عند مصلحة
وفي المفاسد تلقاهم شياطينا

إن الرعية أغنام يحدّ لها
عمالك المستبدون السكاكينا

وإذا أراد السلطان شواهد على مفاسد أولئك العاملين فإن أبرز ما تستعيده ذاكرة الزهاوي هو ذلك الذي عاد يحمله معه من اليمن:

فسل عنهم القطر اليماني إنه
يبوح بما يعرو البلاد وينزل

بلاد بها الأموال من يد أهلها
تنزّع غصباً والنفوس تقتل

ولكن الزهاوي لا يبرأ السلطان نفسه من هذا الذي يحصل في دولته، فهو يعد ذلك تنفيذاً لسياسة السلطان ورغباته:

أيأمر ظل الله في أرضه بما
نهى الله عنه والكتاب المنزل

فيفقر ذا مال وينفي مبرءاً
ويسجن مظلوماً ويسبي ويقتل

ولذلك فهو يحذره، مبدياً نزعة ثورية غاضبة، من أذى وسوء معاملة، سيرتد على حكمه وبالاً. وكأن الزهاوي يعلن هنا واحدة من تأملاته التي تستشرف ما سيحصل لاحقاً من استيقاظ الروح القومية عند العرب ومواجهتهم التسلط التركي بالثورة في أكثر من بلد عربي، ثم بروز الحركة العربية التي تطالب بالاستقلال.
لقد جهر الزهاوي بذلك حين خاطب السلطان بقوله:

تمهل قليلاً لا تغظ أمة إذا
تأجج فيها الغيظ لا تتمهل

وأيديك إن طالت فلا تغتر بها
فإن يد الأيام منهن أطول

لقد مثلت رحلة الزهاوي إلى اليمن واطلاعه على ما يعانيه أهلها من أوضاع مأساوية. نتيجة لتسلط الحاكمين الأتراك وجبروتهم. مرحلة مهمة في حياة هذا الشاعر، فقد أيقظت العمق الإنساني في ذاته وشاعريته وشرعت حواسه وتأملاته الفكرية لإدراك هذا الذي يواجهه أهل العرب في أوطانهم من ظلم وجور.
ولعلنا لا نكون مبالغين حين نعد تلك الرحلة .على قصر مدتها. سبباً فيما تحقق للزهاوي لاحقاً من نضج في الوعي والانشغال التعبيري الشعري الذي اتسع لمسارات جديدة من المواقف والتجارب.
لقد أخرجته من حالة الانتماء الوظيفي المستلب في إطار الدولة العثمانية ليعلن رفضه وتمرده، وينضوي في مرحلة من العمل السياسي والنشاط الأدبي المغاير لما كانت عليه تجربته وهي تعايش نوازعها الذاتية ومزاجها الشعري الضيق. وهو ما وضعه في مواجهة السلطة العثمانية وجبروتها، فقد فصل من منصبه النيابي، وأبعد من اسطنبول إلى بغداد، ليبقى هناك من دون وظيفة يعيش منها. ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة ما قد وطّن عليه نفسه وشاعريته من وجهة يقين لا يفارقها.
هي الحقيقة أرضاها وإن غضبوا
وأدعيها وإن صاحوا وإن جلبوا

صنعاء في اواخر القرن التاسع عشر

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية
وزارة الداخلية واحداث العراق سنة 1939

■ د . قحطان حميد العنبكي

شَهد العراق خلال المدة ١٩٣٩–١٩٤٠ العديد من الأحداث الداخلية والخارجية التي انعكست تطوراتها على الوضع الداخلي في البلاد،ولاسيما الوَضع الأمني،الذي تتحمل أعباءه ونتائجه وزارة الداخلية ومؤسساتها ولاسيّما الأمنية منها،يزاد على ذلك الدور المباشر والأساسي لوزير الداخلية الذي يمثل رأس الجهاز الأمني المسؤول عن استتباب الأمن والنظام وتطبيق سُلطة القانون وسيادته على الجميع،في ظل ظروف ومناخات قد لا تكون ملائمة لتنفيذ خطط وطموحات وزارة الداخلية التي هي بالأساس خطط وطموحات الحكومة العراقية آنذاك.

سيارة الملك غازي المنكوبة

إجراءات وموقف الوزارة من حادثة مقتل الملك غازي

من أولى الأحداث الداخلية والمهمة خلال السنة ١٩٣٩،هي حادثة مقتل الملك غازي في ٤ نيسان١٩٣٩،في حادثة اصطدام سيارته ولاسيّما بعمودِ الكهرباء عندما كان قادماً من قصر الزهور قاصداً قصر الحارثية وذلك في الساعة الحادية عشر والنصف من يوم الاثنين،وفارق الحياة في الدقيقة(٤٠) من يوم الثلاثاء ٤نيسان ١٩٣٩ حسبما ورد في الرواية الرسمية.

وكان وزير الداخلية ناجي شوكت مستغرقاً في نومه حتى أيقظتهُ رفيقته قائلةً:((إنَّ أحد مفوضي شرطة العلوية يود مقابلتك لأمر مهم))،وبعد ان عرف الوزير بخبر اصطدام سيارة الملك غازي،توجه إلى القصر الملكي،ووجد ان علامات الارتياح بادية على وجه رشيد عالي،وطه الهاشمي ورستم حيدروقد رفض الجميع اقتراح ناجي شوكت(وزير الداخلية) وجوب دعوة مولود مخلص رئيس مجلس النواب ورؤساء الوزراء السابقين، وهذا ما زاد من وساوسه حول الحادث، واستمع ناجي شوكت مع الوزراء الآخرين إلى إفادات عبد الاله وأخته زوجة الملك، ويقول ناجي شوكت بأنه ((تكون عندي شعور خفي بأن الوفاة لم تكن طبيعية،وإن الشعب سيكون لديه الشعور نفسه)).

إستصوب وزير الداخلية،نقل جثمان الملك غازي في غسق الليل إلى البلاط الملكي ليجري التشييع إلى المقبرة الملكية القريبة منه وذلك لتجنب ما قد يحدث ويخل بالسكينة والأمن العام،وقد استحسن الحاضرون ذلك الإجراء.

كما وقام الوزير بنفسه بتفقد مكان الحادث،وقال معللاً أسبابه:((..والمعروف عن غازي انه كان مولعاً بقضاء الليالي الحمراء .. وقد دفعه ذلك إلى أن يقود سيارته بسرعة جنونية،فلما وصل القنطرة بهره الضوء الكهربائي، مما أدى إلى ضعف الرؤيا،فكانت النتيجة المؤلمة،ولكن الذي أخاله ... ان النداء الهاتفي المفاجيء كان مفتعلاً،وان يداً خفية لعبت بالسيارة خلال المدة التي كان غازي قد استعد لنزع ثيابه ثم عاد فلبسها فأوجدت فيها خللاً غير منظور مما مهد الخلل في مقودها إلى انقلابها بعد إقلاعها بمدة قصيرة،ولا يستبعد ان يكون كل ذلك قد تم بتدبير من نوري وعبد الإله،واتفاق مع السفارة البريطانية في بغداد..)).

اتخذت وزارة الداخلية مجموعة من التدابير للمحافظة على الهدوء وحماية أرواح بعض الناس وأرواح بعض المسؤولين،ومنها تكفل وزير الداخلية بإيصال السفير البريطاني هوستون بوزويل (Houstoun Boswall)) إلى دار السفارة عن طريق الاعظمية– الكاظمية.

كما قامت وزارة الداخلية بالمحافظة على الهيئة الدبلوماسية التي حضرت التشييع في المقبرة الملكية والتي أخرت لمدة ساعة ،ثم سُمِح لها بمغادرة المكان من الشوارع الفرعية ،وأغلقت الجسور لوقف تدفق الجماهير إلى منطقة المقبرة من المناطق الأخرى لبغداد،كما أعلنت الحكومة الأحكام العرفية التي بقيت نافذة المفعول لغاية آب١٩٣٩، واشتركت وزارة الداخلية من خلال مدير الشرطة العام بإجراء الكشف الموضعي لمكان الحادث بالاشتراك مع قضاة التحقيق في الرصافة والكرخ،كما تعاملت الوزارة بهدوء مع عشرات الألوف من المتظاهرين العائدين من تشييع الجنازة، وقد أمر وزير الداخلية الشرطة بعدم التدخل في أمور الأهالي،بحيث تمت مراسيم الدفن وتقديم التعازي من دون أن يحصل ما يكدر الأمن.

وتماشياً مع توجهات نوري السعيد الرامية إلى توطيد العلاقة مع بريطانيا،وعدم تعكير صفو تلك العلاقة،لاسيما بعد حادثة مقتل القنصل البريطاني في الموصل، المستر مونك ميسن(M.Meesen) . بعد حادثة الملك غازي،أعلنت مديرية الدعاية والنشر والإذاعة إحدى تشكيلات وزارة الداخلية بياناً استنكرت فيه هذا العمل وأشارت إلى ((القبض على القاتل والمحرضين،وسينالون ما يستحقون من العقاب الصارم))وان وزارة الداخلية((ستنفذ خطة محكمة في الموصل وبقية مدن العراق،وعدم فسح المجال لأي كان لتعكير صفو العلاقة القائمة بين العراق وبين حليفته بريطانيا العظمى)) .

وسافر مستشار وزارة الداخلية الميجر ادموندس(Admonds)إلى الموصل للإشراف على التحقيقات الجارية بشان الموضوع والتأكد من سيرها بشكل سليم ويخدم التحقيق في الحادث المذكور. وبناءً على اقتراح وزير الداخلية،قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ٤نيسان ١٩٣٩إعلان الأحكام العرفية في مدينة الموصل وفي المناطق المجاورة لها،وان تكون الإدارة الملكية فيها إدارة عسكرية صرفة،وان يكون قائد القوات العسكرية،المرجع الأعلى لجميع الإدارات،داخل المنطقة المنوه عنها،وله حق توزيع الأعمال والسلطات على جميع الموظفين داخل تلك المنطقة.وبذلك توقف تطبيق القوانين والأنظمة المعمول بها في المنطقة المشار اليها ومنها:قانون إدارة الألوية، وقانون الجمعيات والاجتماعات،وقانون دعاوى العشائر،وقانون المطبوعات..،والقوانين الأخرى بقدر مالها من مساس بالإجراءات والمحاكمات التي تتطلبها الإدارة العرفية في المنطقة المذكورة.

ناجي شوكت

رشيد عالي الكيلاني

وطبقاً للتقاليد الدستورية قدم نوري السعيد استقالة وزارته في اليوم نفسه الذي تمَّ فيه تنصيب عبد الإله وصياً على العرش. وألف نوري السعيد وزارته الرابعة في٦نيسان١٩٣٩ولم يجر نوري السعيد في البداية أي تغيير على تشكيلة وزارته السابقة،لكنه بعد مدة أجرى بعض التغييرات الأساسية على وزارته الجديدة،أرتبط أولها باستقالة وزير الداخلية ناجي شوكت الذي كان في تركيا بمهمة رسمية وفي أثناء غيابه،لجأ نوري السعيد إلى تنقلات إدارية شملت أمين خالص متصرف بغداد،وكيل مدير السجون العام، لعدم ارتياحه منه بسبب ما ابداه من مساعدات لحكمت سليمان في السجن بحكم علاقتهما .

جاء ردّ ناجي شوكت على تصرفات نوري السعيد قوياً إذ بعث له برقية من انقرة،أكدّ فيها((أنه قد أصبح من المستحيل عليَّ مؤازرتكم))(٢)،وفي اليوم نفسه الذي تسلّم فيه نوري السعيد برقية وزير داخليته استصدر إرادة ملكية اسند بموجبها منصب وزارة الداخلية إلى نفسه وكالة.وفي ٢٠ايلول ١٩٣٩أجرى نوري السعيد تغيير آخر على وزارته الرابعة بأن عهد وزارة الداخلية إلى عمر نظمي وزير الاقتصاد في وزارته السابقة.

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

موقف الوزارة من الأحداث والتطورات السياسية الناجمة عن قيام الحرب العالمية الثانية

حاولت بريطانيا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول ١٩٣٩ استغلال موارد العراق وموقعه الإستراتيجي لخدمة المجهود الحربي للحلفاء استناداً إلى نصوص معاهدة سنة١٩٣٠ التي منحتها امتيازات واسعة .

استجابت الحكومة العراقية للطلبات البريطانية فبادر نوري السعيد، وعلى الفور،لقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا،وسعى إلى جر العراق للقتال إلى جانبها، وإرسال قوات عسكرية إلى الحدود الليبية،لكن سياسة السعيد جوبهت بمعارضة شديدة من الحركة الوطنية في العراق،التي دعت إلى وقوف العراق على الحياد في الصراع الدولي،والالتزام بمعاهدة سنة ١٩٣٠.

كان من الطبيعي ان تنعكس على وزارة الداخلية العراقية التطورات والأحداث التي نجمت عن قيام الحرب وان تدخل مهماتها حيزاً جديداً ينسجم مع ما يحدث على الساحة السياسية العراقية من تغيير الوزارات ومن صراع بين الآراء والمواقف السياسية،فاتخذت الوزارة الإجراءات اللازمة لرفع كفاءة جهاز الشرطة (الجهاز الأمني)فضلاً عن الاهتمام بالواجبات التي كانت مناطه به عبر المرحلة السابقة .

بدأت وزارة الداخلية،بالاهتمام بعملية ترميم المواقع التي تحرس السدود المائية،مثل سدة الهندية والكوت وناظم الغراف وتخصيص قوة كافية من الشرطة لحمايتها،وقد سوغت وزارة الداخلية أسباب هذا الاهتمام بهذه السدود إلى إنها((تعدان من المواقع المهمة المستهدفة لأخطار الغارات الجوية)) ويجب اتخاذ كل التدابير اللازمة لحمايتها، حتى أنّ متصرفية لواء الحلة طلبت لأن يتم تجهيز القوة المكلفة بحماية سدة الهندية بمدفعين من المدافع المضادة للطائرات . كما أولت الوزارة اهتمامها بتوافر الحماية اللازمة للحدود العراقية،فأوعزت إلى مديرية الشرطة العامة لأجل تعزيز إجراءاتها الحدودية ،فشددت على الأجهزة الأمنية المختصة بمكافحة التهريب ولاسيّما منع دخول الأجانب إلى العراق، وكان ذلك يجري بالتعاون والتنسيق المتبادل مع وزارة الدفاع،وتمّ طرد عدد من منتسبي الشرطة في مخفر المنذرية الحدودي مع إيران وذلك لعدم قيامهم بواجباتهم بالشكل المطلوب،كما أجرت وزارة الداخلية من خلال مديرية الشرطة العامة،الكثير من التنقلات ولاسيّما من الألوية الشمالية لأسباب تتعلق بعدم قيام البعض من ضباطها بواجبات التعقيب ومكافحة التهريب وعدم إتقانهم للغة المحلية.

وفي خطوة غير مسبوقة،اقترحت الوزارة تدريب منتسبيها ولاسيّما قوة الشرطة وفي مختلف مناطق العراق على استعمال الرشاشات والبنادق ضد الطائرات،وتمّ فتح دورة ولاسيّما بإشراف الوزارة لتدريب أفراد الشرطة في مدرسة الشرطة ولمدة ثلاثة أسابيع، ثم يُعمم التدريب بعد ذلك ليشمل أفراد الشرطة كافة،وذلك بالتنسيق والتعاون مع وزارة الدفاع لإجراء هذا النوع من التدريب الذي عُرف بـ(الدفاع الإيجابي ضد الخطر الجوي).

كما تحملت وزارة الداخلية أعباء أخرى أفرزتها الحرب في المجتمع العراقي ولاسيّما الآثار الاقتصادية والاجتماعية للحرب على الأوضاع الداخلية في العراق،وكان للوزارة مساهمة فاعلة في إجراءات الحكومة الاقتصادية التي هدفت إلى السيطرة على الوضع الاقتصادي فصدر في العاشر من ايلول١٩٣٩ (مرسوم تنظيم الحياة الاقتصادية)، استعداداً للطوارئ ومنع الاستغلال غير المشروع،فوضع المرسوم الأسس الأولى لسلطة التموين وتشكيلاتها. إذ انه خوّل الحكومة- ومنها مؤسسات وزارة الداخلية-سلطات واسعة للإشراف على التجارة واتخاذ التدابير لخزن وتوزيع السلع الضرورية مثل السكر والشاي والقهوة والصابون والمواد الإنشائية والورق وغيرها وإحصاء ومراقبة الكميات المخزونة منها ،وتحديد الأسعار والأجور.وخول المرسوم مجلس الوزراء تأليف لجنة مركزية برئاسة أحد الوزراء لتنفيذ ذلك،وفرض العقوبات على المخالفين .

وطبقاً لهذا المرسوم تشكلت لجنة التموين المركزية من سبعة أعضاء برئاسة وزير المالية رستم حيدر،وضمت فيها أمين العاصمة ارشد العمري(٢)،وتمّ تشكيل لجان فرعية في الألوية (المحافظات) الأخرى(٣).

لم تكن لهذه اللجنة خبرات سابقة،ولم تتجاوز إجراءاتها السيطرة على التصدير فمنعت تصدير السلع الضرورية المستوردة مثل السكر والشاي والقهوة والصابون والشاط والأسمنت والأحذية والمصابيح الكهربائية والأدوية والمستحضرات الطبية والحبوب ولاسيّما الحنطة والطحين إلا في الحالات القصوى ، وسمحت بتصدير الجلود والأصباغ والورق والغزول والمعادن والشعير والرز ومشتقات النفط وغيرها بإجازة .

وكان المرسوم قد خوّل اللجنة صلاحية تسجيل كميات وأوصاف المواد التي بحوزة التجار، وإجراء التفتيش وفرض العقوبات اللازمة لأجل حصر المواد الاقتصادية ومنع احتكارها، وإشراف الدولة على توزيعها وبيعها .

وعلى أية حال، ما كانت هذه الإجراءات كافيةً لإعادة الاستقرار إلى الاقتصاد أو ثبات الأسعار عند مستوى معين،لكنها لم تصل إلى مرحلة تهدد بأخطار جدية إلا بعد فشل حركة السنة ١٩٤١،وتوالي وصول القوات البريطانية بأعداد كبيرة،مما ترتب على ذلك زيادة الطلب على المواد الغذائية فضلاً عن المواد الإنشائية مثل السمنت والحديد والطابوق، ووضعت بريطانيا سيطرتها

نوري السعيد

على المرافق العامة بما في ذلك مؤسسات الأمن والشرطة والرقابة ولاسيّما بعد أن قررت سدّ احتياجات قواتها في العراق وتجهيزاتها محلياً.

وعلى الرغم من الإجراءات العديدة التي اتخذتها الحكومة العراقية لتحسين الأوضاع الاقتصادية والمعاشية،فقد ازدادت معاناة السكان بسبب تصاعد الأسعار الذي بلغ ذروته في سنة ١٩٤٣ التي شهدت اشتداد المعارك وامتداد ساحتها،وتناقص المخزون من السلع المستوردة مع شحة المواد المنتجة محلياً ،بسبب الأضرار التي أحدثها فيضان سنة ١٩٤٢، فانتشر الجوع على نطاق واسع وازدادت نسبة الوفيات . وسعت حكومة نوري السعيد السابعة لإيجاد مخرج للازمة والعمل على تخفيف آثار مشكلة التموين فقررت متابعة تنفيذ القوانين والتشريعات الصادرة بالاستعانة بالشرطة وشكلت شرطة لأعمال التموين(١)،لكن إجراءات الحكومة لم تنجح بسبب استشراء السوق السوداء والفساد الإداري ولاسيّما بين الأجهزة المسؤولة عن التموين ،بل إن الأجهزة الأمنية تصدت إلى التظاهرات التي كانت تطالب بالطعام والعلاج وكانت الشرطة تفرق المتظاهرين بالقسوة تارةً وبرش الماء عليهم من خراطيم المياه تارةً أخرى.

وبلغ تدخل الحكومة في شؤون التجارة أقصى الحدود فمنعت بيع الحبوب من دون إجازة وأوجبت على المنتجين تسجيل اسم وعنوان المشتري والكمية المباعة وتاريخ البيع وتمّ حصر إجازات البيع بالمفرد للحبوب بمديريات التموين ورؤساء أمانة العاصمة في بغداد والبلديات في الألوية الأخرى .واستحدثت الحكومة العراقية مديرية عامة للاستيراد تضم كلاً من كرايس (Krice) مساعد مستشار وزارة الداخلية والنقيب جي.بي موفاث(J.B.Mofath) والرائد بيج(Beeg) والنقيب تي.أي بيرد(T.E.Beard) والنقيب ت.جي ويلش(T.J.Welsh)والملازم ماسترز(Masters) وداود خضوري وصالح مهدي حيدر واميل بزوعي والسيدة كوبر(Koper) ونعيم بشو، لكن إجراءات الحكومة لم تطبق تطبيقاً دقيقاً اذ أفسدتها الرشوة والمحسوبية، فكان الموظفون البريطانيون يمنحون التجار اليهود إجازات الاستيراد ويحجبونها عن بقية التجار.

وهكذا كان لمشكلة التموين أثار على عدم الاستقرار السياسي وحصول تذمر شعبي أدى إلى وقوع مصادمات بين الأهالي والشرطة وتسببت في استقالة وزارة نوري السعيد في الثالث من تشرين الأول١٩٤٢ إذ جاء في كتاب الاستقالة((نشوء بعض الخلافات في وجهات النظر حول بعض الأمور المهمة كقضايا التموين)).

ونتيجة لاستمرار موجة الاحتجاجات والتظاهرات والمصادمات بين الأهالي والشرطة استحدثت الحكومة في ايار١٩٤٤ وزارة التموين ،للسيطرة على الشؤون الاقتصادية وتنظيم التموين وذلك بمحاربة التهريب- بالتنسيق مع مؤسسات وزارة الداخلية ذات الصلة- وتخصيص مكافآت للذين يساعدون على اكتشاف مثل هذه الحالات وتخصيص ٥٠٪ مما يتم تحصيله من الغرامات وبيع الأموال المصادرة . ونظراً لتقلص مهام وزارة التموين بسبب رفع قيود السيطرة والمراقبة على معظم مواد التموين قررت الحكومة إلغاء اكثر من(٨٠) وظيفة،وطلبت من المتصرفيات تقليص عدد موظفي التموين والمستخدمين لديها إلى الثلث،وإيقاف التعيينات الجديدة، وعلى اثر ذلك،قررت وزارة الداخلية إلغاء شرطة التموين بسبب تقلص أعمال التموين ورفع السيطرة عن معظم مواد التموين،التي كان لشرطة التموين دور مهم وكبير في متابعة شؤون التموين والمتلاعبين بالمواد الأساسية والإشراف على خزن تلك المواد وغير ذلك من الواجبات التي هي من اختصاصها.وتمّ إلغاؤها في ١٠ايلول١٩٤٧ وتوزيع أفرادها على الشرطة المحلية في بغداد وباقي الألوية.

إنّ ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق،والعدوان البريطاني عليه وإعادة احتلاله خلال الحرب،وخضوع الحكومات العراقية إلى السيطرة البريطانية الفعالة،قد أضعفت كثيراً من هيبة الحكومة،ودفعت الناس إلى عدم احترام الأنظمة والقوانين- التي كان الكثير منها ينفذ من وزارة الداخلية ومؤسساتها المتشعبة- بل شجعتهم على معاكستها، الأمر الذي أثر بصورة واضحة على حدوث الكثير من القضايا التي لها مساس بالضبط الاجتماعي مثل حوادث القتل والسلب والسرقة والاغتصاب والتسول والتشرد والغش والاحتكار وانتشار ظاهرة الرشوة والاختلاس وتدهور الأوضاع الصحية والتعليمية والمعيشية للمواطنين.وفي حالات كثيرة نلاحظ تلكؤ أجهزة الأمن المسؤولة عن متابعة بعض الظواهر الاجتماعية الشاذة في المجتمع ولاسيّما خلال مدة الحرب ولم تكن وزارة الداخلية ومؤسساتها بمنأى عن الاتهامات والانتقادات التي وجهتها بعض الصحف العراقية حول انتشار حوادث الاختلاس والسرقة من دوائر الدولة.وتفاعست مؤسسات الوزارة الأمنية عن تقليل جرائم السرقة والاغتصاب والقتل خلال مدة الحرب .

ولم تخلو إجراءات الشرطة من النجاح للحد من حالات السلب والقتل،والقبض على الجناة وإحالتهم إلى القضاء،فقد تمكنت قوات الأمن من إلقاء القبض على عصابة حاولت قتل أحد سواق سيارات الأجرة بعد استئجار سيارته من بغداد إلى قرية (جديدة الشط) التابعة لقضاء الخالص وسلب نقوده البالغة (٢٥٠) ديناراً،وقد تمكنت قوات الأمن من إلقاء القبض عليهم وهم يفككون السيارة ويقومون بسرقة أدواتها.

كما وجهت انتقادات لاذعة في مجلس الأمة للحكومة العراقية لتقاعسها عن معالجة تدني الأخلاق العامة وانتشار الأفعال الضارة،فطالب الأعضاء من النواب والأعيان الحكومة بمكافحة الملاهي ومنع الرقص الخليع الذي يزيد الفسق والفجور وتفشي الرذيلة على حد قول العين عبد المحسن شلاش.

وزارة الداخلية و اغتيال وزير المالية (رستم حيدر)

أصيبت الوزارة السعيدية بضربة قاصمة في ١٨كانون الثاني١٩٤٠،باغتيال وزير المالية رستم حيدر من مفوض الشرطة حسين فوزي.وقد كان تأثير الحادث قوياً على نوري السعيد،الذي عَدّه موجهاً بصورة أساسية ضده.ما أدى به إلى الاستقالة في ١٨شباط ١٩٤٠،وأعاد تشكيل الوزارة مرةً أخرى في ٢٢ شباط من السنة نفسها.

كانت محاكمة قتلة رستم حيدر الشغل الشاغل للوزارة الجديدة وللرأي العام معاً،وقد تبين لوزارة الداخلية بأن المتهم حسين فوزي قد اعترف بالجريمة بشكل صريح ومن دون ضغط أو إكراه وأنه هو الذي قام بقتل رستم حيدر بمفرده ومن دون وجود أي شريك له في العملية.إلا ان ناجي شوكت يروي أن نوري السعيد قد اختلى بالقاتل في مركز الشرطة، ثم أمر بالقبض على جماعة بينهم إبراهيم كمال،وعارف قفطان،وصبيح نجيب، وشفيق نوري السعيدي،مما أدى إلى اختلاف الوزراء فيما بينهم ،واستقال وزير الشؤون الاجتماعية صالح جبر الذي قبلت استقالته في ١٧اذار ١٩٤٠وقد أشار صالح جبر إلى أسباب الاستقالة في الكتاب الذي رفعه إلى رئيس الوزراء بهذا الخصوص بالآتي((إن من أهم الأهداف التي رميتم إليها في خطة وزارتكم الحاضرة،هي مكافحة الإجرام السياسي،..إذا لم تتخذ تدابير ناجحة لمكافحته،واستئصال جراثيمه،قبل أن يستفحل،وتتعذر معالجته. تعود البلاد إلى الانحلال))(٣).ثم يشير إلى عدم قدرة الحكومة على القيام بذلك ((هذا وبما اني أرى أن حكومة فخامتكم غير عازمة على اتخاذ هذه التدابير..، يؤسفني جداً ان أجد نفسي غير قادر على الاستمرار بالعمل، لذا ارفع استقالتي..)) .

ويبدو من النص أعلاه،أنّ أحد أسباب الاستقالة هو انتشار الجريمة السياسية ،وعدم جدية الحكومة لوضع معالجات موضوعية بشأن الموضوع.

من المحتمل،أنّ عملية اغتيال رستم حيدر قد تمت بعلم وإيعاز من نوري السعيد ولعل ما يرجح هذا الرأي هو النداءات والصيحات التي أطلقها حسين فوزي في الفجر من يوم

تنفيذ حكم الإعدام به بعد إقرار ذلك من المجلس العرفي الذي شكل للمحاكمة لقاتل رستم حيدر حيث كان يصرخ بأعلى صوته وهو يقاد نحو المشنقة وأمام حشد كبير من المواطنين ((ان نوري السعيد هو السبب.. نوري السعيد هو اللي ورطني..)) .

وهذه إشارة واضحة توجه أصابع الاتهام لنوري السعيد الذي كان يعدّ رستم حيدر منافساً حقيقياً له على رئاسة الحكومة آنذاك.

على كل حال،صدر حكم الإعدام على حسين فوزي في ٢٠اذار١٩٤٠،وعلى صبيح نجيب بالسجن لمدة سنة،كما برأ المجلس كل من إبراهيم كمال وصالح الجعفري وعارف قفطان أما البقية فتمّ إطلاق سراحهم خلال مرحلة التحقيق . لكن يسجل الباحث بأن هناك قصوراً في إجراءات وزارة الداخلية في حادثة مهمة كهذه،حيث أنّ إجراءاتها اتصفت بالروتينية والمسلكية البحتة.

العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

العملات النقدية ايام فيصل الثاني

■ رائد ابراهيم الطائي

في أواخر عام ١٩٣٩ وبموجب القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٣١ صدرت أولى العملات التي تحمل صورة الملك فيصل الثاني (الطبعة الثالثة). وكان هذا الإصدار يتكون من عملات ورقية جديدة مشابهة للإصدارين السابقين تحمل اسم الحكومة العراقية
في الأعلى وصورة الملك فيصل الثاني وهو طفل صغير على يمين الورقة، وقيمة العملة في الوسط. وكان وجه العملة مكتوبا باللغة العربية وظهرها مكتوبا باللغة الانكليزية، وهي من الفئات التالية :

١- ورقة نقدية من فئة ربع دينار
٢- ورقة نقدية من فئة نصف دينار
٣- ورقة نقدية من فئة دينار واحد
٤- ورقة نقدية من فئة خمسة دنانير
٥- ورقة نقدية من فئة عشرة دنانير
٦- ورقة نقدية من فئة مئة دينار

تشابه هذه أوراق هذا الإصدار (الاصدار الثالث) بألوانها وتصاميمها الإصدارين السابقين . كما تضمن الاصدار ايضا مسكوكتين معدنيتين تحملان على وجهيهما صورة الملك فيصل الثاني وهو طفل صغير ووجهه متجه الى الجهة اليمنى، وعلى كلمتي (فيصل الثاني) إلى اليمين و (ملك العراق) في الجهة اليسرى. أما ظهر المسكوكتين فهو دائرة صغيرة في الوسط يوجد فيها فئة العملة وتحتها كلمة (فلس)، وحول الدائرة كلمتي (المملكة العراقية) بحيث تكون كلمة (المملكة) في الأعلى و (العراقية) في الأسفل، يفصل بينهما التاريخ الهجري على اليمين والتاريخ الميلادي على اليسار. وكانت هاتان المسكوكتان من فئتي ٤ فلس و ١٠ فلس وهما مصنوعتان من البرونز. كما كانت حافتا المسكوكتان مقوستين، وقد تم ضربهما وكذلك طبع العملات الورقية لهذا الإصدار في لندن في بريطانيا.

وفي عام ١٩٤١ وفي خضم اشتعال الحرب العالمية الثانية ظهرت حاجة في التداول للمزيد من العملات الورقية ، ونظرا لانشغال بريطانيا بشدة في هذه الحرب وتوجيه معظم الجهد الصناعي البريطاني نحو المجهود الحربي لم يتسنى طبع المزيد من العملات هناك فتقرر طبعها بدلا من ذلك في الهند التي كانت بعيدة نوعا ما عن مسارح العمليات الحربية . وقد كانت العملات الورقية المطبوعة في الهند عام ١٩٤١ (الاصدار الرابع) من فئتين هما ربع دينار ودينار واحد .

وفي عام ١٩٤٤ تم طبع أوراق جديدة تعود لنفس هذا الإصدار لكن كانت صورة الملك فيصل الثاني فيها بسن صبي يافع ، وكانت من فئتين ايضا ورقة نقدية من فئة ربع دينار وورقة نقدية من فئة نصف دينار . كانت الوان هذا الإصدار (الإصدار الرابع) تختلف قليلا عن ألوان الطبعات السابقة ، كما كان تصميمها يشابه الى حد كبير تصميم العملات الهندية في تصميمها بالرغم من ان الوجه كان باللغة العربية والظهر اللغة الانكليزية .

في ٢٠ تموز من عام ١٩٤٧ صدر القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٤٧ الذي تأسس بموجبه المصرف الوطني العراقي وحول اليه كافة صلاحيات لجنة العملة العراقية السابقة فاصبح بذلك مسؤولا عن كل شؤون العملة في العراق . وبموجب هذا القانون صدرت في ١٧ ايلول عام ١٩٥٠ الطبعة الخامسة من العملة العراقية ، وكانت ورقية فقط تحمل على وجهها الى اليمين

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

صورة الملك فيصل الثاني وهو فتى بسن المراهقة وفي الاعلى عبارة (المصرف الوطني العراقي) ، وهي تتكون من الفئات التالية :

١- ورقة نقدية من فئة ربع دينار
٢- ورقة نقدية من فئة نصف دينار
٣- ورقة نقدية من فئة دينار واحد
٤- ورقة نقدية من فئة خمسة دنانير
٥- ورقة نقدية من فئة عشرة دنانير

وفي ٢٠ اذار من عام ١٩٥٣ قام المصرف الوطني العراقي باصدار الطبعة السادسة من العملة العراقية والتي كانت ورقية فقط ايضا ومن نفس الفئات التي وردت في الطبعة الخامسة باستثناء ان صورة الملك فيصل الثاني كانت وهو بسن كبير . في ١٢ مايس من عام ١٩٥٥ تم اصدار طبعة جديدة للعملة العراقية (الطبعة السابعة) ضمت اوراق نقدية من فئات تشابه الأصدارات السابقة باستثناء كونها تحمل صورة الملك فيصل الثاني بسن اكبر قليلا مأخوذة له بعد تتويجه ملكا على العراق .

وفي ١ تموز عام ١٩٥٦ صدر القانون رقم ٧٢ لعام ١٩٥٦ والذي غير اسم المصرف الوطني العراقي الى اسم البنك المركزي العراقي ، وفي ٢ مايس من عام ١٩٥٨ قام البنك المركزي باصدار عملة جديدة تحمل اسم البنك المركزي العراقي بدلا من المصرف الوطني العراقي ، كما ان صورة الملك فيصل الثاني كانت وهو بسن اكبر قليلا ووجهه ملتفتا قليلا الى اليمين . كما ضم الاصدار ايضا مسكوكات معدنية تشابه في مواصفاتها الاصدارات المعدنية السابقة باستثناء ان صورة الملك فيصل الثاني على الوجه كانت وهو بسن كبير ومتجهة الى الجهة اليمنى . وكانت هذه المسكوكات من الفئات التالية :

١- عملة معدنية برونزية فئة ١ فلس
٢- عملة معدنية برونزية فئة ٢ فلس
٣- عملة معدنية من النيكل فئة ٤ فلس (العانة)
٤- عملة معدنية من النيكل فئة ١٠ فلس
٥- عملة معدنية من الفضة فئة ٢٠ فلس (القران)
٦- عملة معدنية من الفضة فئة ٥٠ فلس (الدرهم)٧- عملة معدنية فضية من فئة ١٠٠ فلس

الملك فيصل الثاني يزور مطبعة العملات العراقية

عندما تزوجت فاطمة رشدي عراقيا !!

■ جواد الرميثي

عند قدوم الفنان المصري جورج ابيض إلى بغداد وعرضه لتمثيلياته على مسرح سينما الوطني مقابل جامع السيد سلطان علي، اخذ بمعاونته وتدريبه الفنان العراقي الكبير المرحوم حقي الشبلي وأربعة من التلاميذ الصغار هم عباس بغدادي وكاظم البحراني وزكي يحيى وعبد الوهاب الأمين. وقد كان جورج ابيض يعامل أفراد فرقته بالقسوة البالغة والشتم والضرب. ومن التمثيليات التي قدمها جورج كانت تمثيلية (لويس الحادي عشر) وتمثيلية (هاملت) و(يوليوس قيصر)، وكان القارئ المرحوم الشيخ أمين حسنين يقرأ القصائد والمواويل قبل بدء التمثيل وعلى مقدمة المسرح قبل رفع الستارة، حيث تجري الاستعدادات لإخراج التمثيلية بعيدا عن انظار الجمهور . وكانت أجرة الدخول لمشاهدة التمثيلية (ربيتان) للصفوف الأمامية و(ربية واحدة) للصفوف الخلفية، أما أجرة اللوج فكانت عشرة ربيات عن اربع كراسي. وكان قد جاء قبل جورج ابيض بمدة قصيرة أمين عطا الله وفرقته المسماة فرقة (كش كش بك) وبرفقته الممثلة الشابة الحسناء (ايزابلا) ولا نعرف هل أن الفنان نجيب الريحاني استقى اسم "كش كش بك" من امين عطا الله ام العكس، و استأجر سطحا مكشوفا مقابل قهوة عارف أغا عرض فيه تمثيلياته. ويظهر ان نجاح هاتين الفرقتين قد شجعت فرقا مصرية أخرى للقدوم إلى العراق. فجاءت فرقة فاطمة رشدي وزوجها عزيز عيد، وكانت فاطمة تجمع بين الجمال والفن، وأشهر تمثيلياتها دورها في رواية (فرخ النسر) ابن نابليون، وكانت تمثل هذا الدور باعتبار أن ابن نابليون كان مراهقا وسيما يشبه الفتيات وقد تزوجت فاطمة رشدي من احد ضباط الشرطة العراقيين بعد أن طلقها عزيز عيد ولكن زواجها لم يدم طويلا، فعادت إلى مصر بعد اقل من سنة.

العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

من تاريخ التعليم الاهلي في العراق

مدارس الدومنيكان في الموصل ودورها الرائد

كيف صدرت اول مجلة في العراق؟

■ د . فريال صالح عمر

شرع الآباء الدومنيكان بالعمل في ولاية الموصل سنة ١٧٥٠ بعد أن وصلوها في تلك السنة، وقد اقتصر نشاطهم في أول الامر على بناء كنيستين كاثوليكيتين للكلدان والسريان، وقاموا أيضاً بتقديم الخدمات الطبية لسكان مدينة الموصل كافة. ولم يبدأ الآباء الدومنيكان بإنشاء المدارس إلا في سنة ١٨٥٤، حيث قاموا في تلك السنة بتأسيس عدد منها في مدينة الموصل، وفي قريتين قريبتين منها.فكان للآباء الدومنيكان في تلك الحقبة ثلاث مدارس للبنين، يبلغ عدد التلاميذ فيها ٤٠٠ تلميذ ومدرستان للبنات تضمان ٣٠٠ تلميذة، وإهتمت الإرسالية كذلك بفتح مدرستين في ضواحي الموصل، ومدرسة في (مار ياقو) وأخريين في مدينة كركوك".

وفي ولاية الموصل بدأت الإرسالية الدومنيكانية نشاطها في مجال التعليم بفتح عدد من المدارس في العام ١٨٥٤، ومن بينها مدرسة الآباء الدومنيكان الرشدية المختلطة ومدرسة ابتدائية مختلطة، ومدرسة البنات اليتيمات المسائية، ومدرسة اخوات المحبة الابتدائية للبنات وجميعها، كانت في مركز الولاية. فضلاً عن ذلك أسس الدومنيكان مدارس خارج مركز الولاية، في المدن والقرى التابعة لها، مثل المدرسة الابتدائية المختلطة في تلكيف. وامتد نشاط الدومنيكان التعليمي ليشمل "مدن كردستان مثل المدارس الابتدائية للبنين التي تم إنشاؤها عام ١٨٦٧ في كركوك وزاخو وعقرة وقرقوش".

لقد كان الآباء الدومنيكان السبّاقين والرواد في فتح المدارس الحديثة في ولاية الموصل ومدن كردستان التي لم تشهد أي حركة لإنشاء المدارس الحديثة إلا قبل حلول القرن العشرين بسنتين، حيث يمكن ملاحظة التوسع النسبي في عملية إنشاء المدارس الابتدائية، خاصة عام ١٨٩٨.

شجعت جهود الدومنيكان في مجال نشر التعليم في تلك المنطقة أبناء الولاية على المطالبة بفتح مدارس حديثة حكومية، فكانت ولاية الموصل أول ولاية في العراق تشهد افتتاح أول مدرسة ابتدائية حديثة حكومية قبيل حلول العام ١٨٦١، وبذلك تكون ولاية الموصل قد سبقت حتى ولاية بغداد التي لم تظهر فيها المدارس الابتدائية الحديثة إلا في العام ١٨٨٦، أي بعد أكثر من ربع قرن على تأسيس مدرسة مدينة الموصل الابتدائية، إن الظروف التي أحاطت بتأسيس المدرسة الابتدائية تلك في الموصل تظهر أسباباً لا علاقة لها بخطط الدولة العثمانية في نشر التعليم، إذ أن الحكومة لم تبادر إلى تأسيس تلك المدرسة من تلقاء نفسها، فقد اتضح أنها أنشئت بجهود أحد أبناء المدينة، ولم يكن تأسيسها ضمن مخطط حكومي لنشر التعليم. ولعل جهود مجتمع مدينة الموصل متمثلة بعد وصول الآباء الدومنيكان الفرنسيين،إهتم الأب هياسنت بيسون (توفي عام ١٨٦١) حال وصوله الموصل، بجمع المدارس المبعثرة في نواحي المدينة في مدرسة واحدة نظامية لسهولة الإشراف عليها وإدارتها، دعيت باسم "مدرسة مار عبد الأحد" أي القديس عبد الأحد وجعلها ذات صفوف متعاقبة، إنتمى إليها التلاميذ من أبناء الموصل بمختلف مللهم. وتشير إحدى وثائق مدرسة القديس عبد الأحد إلى مدارس القرى، إذ تقول: "أن الأخوات الراهبات العراقيات اللواتي تم إعدادهن من قبل الإرسالية الدومنيكية في الموصل، يعملن في مدارس القرى ويقمن بتدريس حوالي ١٠٠٠ طفل".

ومما كان يشجع الأطفال على المواصلة في الدوام لدى مدارس الدومنيكان سلوك المعلمين المعتدل داخل وخارج المدرسة، فقد نظمت مدرسة القديس عبد الأحد طريقة معاملة المعلمين للتلاميذ ضمن البند الخاص بالإدارة والهيئة التعليمية من قانون مدرسة القديس عبد الأحد الصادر في ١٥ آب ١٩٣٠، والبند يحدد مسؤولية المعلمين وواجباتهم، ومن ثم يشرح كيفية تعامل المعلمين مع التلاميذ، إذ يؤكد البند مانصّه: "يتطلب من المعلمين جعل نصب عيونهم دائماً دور المهذب الذي يقومون به في نفس الوقت الذي يعملون فيه، لأجل ذلك يصرفون عنايتهم في التيقظ على النظافة وعلى حسن وضع الأولاد في هندامهم وفي الأشياء التي يستعملونها خصوصاً الكتب والكراريس، ويردعونهم عن كل مافيه سمة تهذيب رديء: التفوه بكلمات خشنة، قلة الإحترام لكل سلطة مهما كانت، ولكن ليتحاشوا عند تذرعهم بوسائل الردع التي يمنحهم إياها القانون كل ما من شأنه أن يوهم الأولاد بأن معلميهم يتصرفون معهم بغضب أو عدم صبر، وليمتنعوا من ضرب الأولاد ومن قذفهم إياهم بكلمات جارحة وبالأخص بالشتائم وماعدا ذلك فإن الإعتدال في إستعمال السلطة والإبتعاد عن كل دالة هما الواسطتان الحقيقيتان لحفظهم نفوذاً حقيقياً على الأولاد، ولحصولهم على محبتهم وإحترامهم معاً".

ويُطلب من المعلمين أن يكونوا مثالاً طيباً لسمعة المدرسة الدومنيكنية خارج المدرسة أيضاً، فيما أن "المثال هو أحد عوامل التهذيب الخصوصية فالمعلمون يسعون لأن يسلكوا في كل مكان سلوك رجال جديرين بشرف وظيفتهم حتى خارج المدرسة، فلا عجب إذا ماكان الأب المدير يهمه أمر معلّميه حتى خارج المدرسة بما أنهم في

كل مكان يحملون شرف وطيب سمعة المدرسة التي ينتسبون إليها".

ومما كان يشجع أولياء الأمور لإرسال أبنائهم إلى مدارس الدومنيكان هو مستوى التدريس الجيد في هذه المدارس، بالإضافة إلى تعلم اللغات الغربية والإعداد الجيد للطلبة والإهتمام بتربيتهم الدينية والأدبية، وكان طلبة هذه المدارس يحرزون نتائج متقدمة في الإمتحانات المركزية الحكومية، وفي أحد التقارير السنوية لمدرسة القديس عبد الأحد يشير الأب المدير إلى أن إثنين من تلاميذ المدرسة قد حققوا نتائج ممتازة في الإمتحان الحكومي، وبأن إثنين آخرين قد تم قبولهما بسهولة في إحدى المدارس المهمة في بيروت لإكمال دراستهما، وكذلك بأن طالباً آخر من طلاب المدرس قد نجح بتفوق في كلية الهندسة في جامعة بيروت وكان الأول على أقرانه، وفي إشارة مهمة إلى أحد التلاميذ الصغار في المدرسة في المرحلة

ذاكرة
العدد 3190/
السنة الثانية عشرة
الاثنين (13) تشرين الاول 2014

السادسة إستطاع أن يكون في نفس المستوى والمرحلة الدراسية عند إنتقاله للدراسة في فرنسا، مما يدل على مستوى التدريس الجيد في مدرسة القديس عبد الأحد، خاصة وأن المنهج المتبع لديها كان يقترب كثيراً من المنهج الفرنسي المتبع في المرحلة الدراسية نفسها.

أما منهج الدراسة الثانوية فكان مطابقاً للمنهج الفرنسي حسب البند الرابع الذي حدد منهج الدروس في قانون المدرسة على هذا النحو: "إن الدورة الثانوية (يقصد بها المرحلة الثانوية) خمس سنوات من الخامسة إلى الأولى، في هذه السنوات الخمس وفي كل صفوفها يطابق منهجها بما يمكن من الضبط المنهج الرسمي الفرنسي لسنة ١٩٢٥ الجزء ب (التعليم العصري)، يضاف إليه درس اللغة العربية حسب المنهج الرسمي للمدارس الثانوية في العراق".

ويحدد البند الرابع أيضاً فيما يخص منهج دروس اللغة الواجب إستخدامها من الطلبة داخل الدروس بالنسبة للمرحلة الثانوية، فيؤكد هذا البند في الفقرة الأخيرة على إنه: "في مدار الدروس الثانوية لايحق للتلامذة أن يستعملوا كلغة جارية إلا الإنكليزية أو الفرنسية وذلك داخل المدرسة".

وكان لهذا الإستخدام الإجباري للغة الأجنبية دور واضح في قدرة خريجي مدارس الدومنيكان التقديم للمعاهد والجامعات العربية والعالمية بدون وجود معوق اللغة، إذ درس طلبة مدارس الدومنيكان العلوم والآداب بلغة أجنبية، خاصة الفرنسية، ومن أشهر تلامذة المدرسة من ذوي الإختصاصات العلمية الدكتور داود الجلبي الذي سبق ذكره في الفصل الثاني، المبحث الخاص بنمو الوعي الوطني والقومي، وكذلك الدكتور حنا خياط (١٨٨٤-١٩٥٩) وهو من الأطباء الرواد في العراق، تتلمذ على الآباء الدومنيكان في مدرستهم ثم إنتقل للدراسة في بيروت فأحرز شهادة الطب، وتخصص بالطب العدلي في فرنسا، عاد إلى الموصل ليمارس مهنته فيها، وتعين مديراً لمستشفى الموصل كما داوم في عيادة الآباء المجانية، وكان الدير يدفع له أجورهُ. نشر سنة ١٩١١ "لمعة إختبارية في الحمى التيفوئيدية"، طبعها في مطبعة الآباء في الموصل، ونبذة عن تناقص النفوس في العراق-بغداد عام ١٩٢٣. بعد إنتهاء عمله في الميدان الصحي تولى المديرية العامة لوزارة الخارجية، وكان أخوه الأكبر الخوري يوسف خياط نائباً في مجلس النواب العراقي لعدة دورات (ت ١٩٤٧)، والأصغر الدكتور سليم خياط وهو خريج الجامعات الألمانية كان رئيس صحة لواء أربيل. "إرشيف مدارس الدومنيكان-الموصل"، الذي كان له دور مؤسس في السلطة التنفيذية في أول وزارة عراقية بعد تتويج فيصل الأول برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب، إذ أصبح حنا خياط أول وزير صحة في العراق سنة ١٩٢١، وبعد أن أصبحت وزارة الصحة بمستوى مديرية عامة مرتبطة بوزارة الداخلية إستمر حنا خياط في إدارة هذه المسؤولية، وقد إعتمد في عمله منهاجاً علمياً رصيناً لتطوير الصحة والمرافق الطبية في العراق على مدى عشر سنوات.

كانت مدارس الدومنيكان ومدارس الإرساليات التبشيرية تحظى بالدعم والمساعدات المالية من سلطات الإحتلال البريطانية، ولم تستثن من ذلك المدارس الكاثوليكية التي نالت نصيبها من المساعدات، لكنها إشترطت عليها تدريس اللغة الإنكليزية، وقد كان الهدف من وراء ذلك محاولة إستمالة الطوائف الكاثوليكية وإبعادها عن نفوذ فرنسا، خاصة بعد إجبار فرنسا على التخلي عن ولاية الموصل التي قررت لها بموجب إتفاقية سايكس-بيكو ١٩١٦، وفي ٢٣ كانون الأول ١٩٢٠ عقد الإتفاق البريطاني-الفرنسي الذي تنازلت به فرنسا عن الولاية.

لقد كان لهذا الإتفاق الأثر الواضح في إنحسار النفوذ الفرنسي في العراق، وبالتالي إنحسار دعمها ومساعداتها المالية للإرساليات التبشيرية الفرنسية العاملة في العراق، مما أدى إلى ضعف دور هذه الإرساليات وإنحسار تأثيرها التعليمي والإجتماعي والفكري، خاصة وأن الإتفاق البريطاني-الفرنسي قد تضمن فقرة تتعلق بالمدارس التبشيرية، جاء فيها "توافق الحكومتان البريطانية والفرنسية... على السماح للمدارس التي تخص أناساً من التبعة الفرنسية، أو من التبعة البريطانية المثابرة في إدارة هذه المدارس في منطقة إنتدابهما، ويسمح بتعليم اللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية في هذه المدارس"، وإشترط في الإتفاق على أن هذه الفقرة لاتطبق على المدارس التي تؤسس بعد ذلك.

الطباعة

وكانت الإرسالية الدومنيكانية السباقة في هذا الميدان، فقد شهدت مدينة الموصل الطباعة الحديثة لأول مرة حينما أسس الآباء الدومنيكان مطبعتهم هناك سنة ١٨٥٨ في محلة الساعة، وقد تولت هذه المطبعة نشر عدد كبير من الكتب، وصل عددها إلى مايزيد على (٥٠٠) كتاب، منها كتب دينية ولغوية وتاريخية ومدرسية، وبلغات عدة، منها العربية والفرنسية والتركية والكلدانية، وكانت المطبعة في بداية الأمر حجرية تعمل بطريقة القالب، وقد نالت إعجاب الأهالي في تلك الأيام، طبع فيها الآباء نشرات للحروف عربية وكلدانية، وكتاب قراءة عربية مصورة مؤلفة من ١٢ صفحة. وفي سنة ١٨٥٩ طبعوا كتاباً من تأليف القس يوسف داود زبوني بعنوان "خلاصة في أصول النحو" وهو أول كتاب في النحو والصرف العربيين يطبع في العراق، وفي العام ١٨٦٠ وصلت الموصل مطبعة حديثة، وبدأت إصداراتها في أواخر تلك السنة، وعمل فيها بعض الرهبان والعمال، واستمرت في العطاء حتى إعلان الحرب العالمية الاولى، وقد ألحق بها معمل للتجليد الفني مع التذهيب وماكنة للحروف البارزة، وأخرى لقص الورق والكارتون. وقد تهيأ لمطبعة الدومنيكان من يشرف عليها ويرعاها ويغنيها بمؤلفاته، وهو يوسف داود الذي يعترف الآباء الدومنيكان بفضله في نجاح المطبعة وانجازاتها، ويؤكد أحد الآباء الذين عاصروا المطبعة هذه الحقيقة، فيقول في إحدى الرسائل المحفوظة في أرشيف الدومنيكان: "أن الشهرة الرائعة التي حصلت عليها مطبعتنا في الموصل، ونجاحها إنما هو متعلق برجلين إثنين أشرفا عليها، أولهما دوفال Duval، والثاني يوسف داود زبوني القس السرياني الذي درس عندنا، ثم أكمل دراسته في روما، وهو رجل ذو خدمة متناهية، دؤوب على العمل، نادر الوجود، وهو موصلي الأصل، وأحد أعضاء رجال الدين البارزين، يقوم بنشر الكتب وتأليفها ويتقن لغات كثيرة جعلته يصبح المتخصص الاول في المدينة، فهو يتقن اليونانية واللاتينية، ويتكلم باتقان الفرنسية والايطالية والانكليزية، ويعرف العربية الفصحى، والفارسية والكلدانية، وحتى العبرانية لاتصعب عليه".

استمرت المطبعة فيما بعد، وبإشراف يوسف داود، على إصدار الكتب، ومما يلاحظ انها بين سنتي ١٨٦٣ و١٨٦٧ اهتمت كثيراً بطبع كتب التراث العربي التي حققها ونشرها يوسف داود، كما شهدت المطبعة بين سنتي ١٨٦٧ و١٨٩٨ نشاطاً ملحوظاً في مطبوعاتها المنوعة، ففي تلك السنوات تم طبع ما ينيف عن المئة كتاب بين صغير الحجم وكبيره، ومنها مايشتمل على عدة مجلدات في المواضيع الدينية والتاريخية واللغوية والادبية، وكان قسم من مطبوعاتها باللغات الكلدانية والسريانية والفرنسية والتركية. ومن أبرز ما طبع فيها كتاب "تدريب الطلاب في أصول التصريف والاعراب"، وكتاب "مختصر تاريخ الكنيسة"، وكتاب "مبادئ التهجئة لتدريس الصبيان" الذي طبع سنة ١٨٦٢ باللغتين العربية والسريانية، وكتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" لابن عرب شاه تحقيق القس يوسف داود سنة ١٨٦٩ وكتب أخرى في "علم الهندسة" و"علم الجبر" و"مختصر في الجغرافية"، كما طبعت في المطبعة الاوراق والسجلات والتقارير الرسمية قبل تأسيس مطبعة الولاية سنة ١٨٧٥. وأسهمت المطبعة في توجيه النشئ إلى التاريخ، ومن الكتب التي طبعتها في هذا المجال كتاب "مختصر في التواريخ القديمة" للقس لويس رحماني سنة ١٨٧٦، و"مختصر في تواريخ القرون المتوسطة" للمؤلف نفسه سنة ١٨٧٧، وأغلب الظن انه اول كتاب عن العصر الوسيط، وكتاب "ذخيرة الاذهان" للقس بطرس نصري الذي طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٠٥، والجزء الثاني بعد ذلك بثماني سنوات. ونتيجة لنشاط حركة الطباعة بدأت حركة الصحافة، وقد شهدت الموصل على يد الآباء الدومنيكان صدور أول مجلة في تاريخ العراق كله، تلك هي مجلة "إكليل الورود" (La couroone de roses). وكما يؤكد المؤرخون أن مجرد صدور هذه المجلة باللغة العربية في تلك المرحلة من التاريخ لهو دليل أكيد على اهتمام الدومنيكان بأداء الخدمة للتراث العربي، ولاسيما اللغوي منه، والذي هو الواسطة الاساس في التعبير عن الفكر القومي.

صدر العدد الأول من مجلة "إكليل الورود" في كانون الأول سنة ١٩٠٢، وقد جاء في التعريف بها تحت العنوان أنها: مجلة دينية أدبية علمية، أصحاب الامتياز الآباء الدومنيكان. وقد بلغ عدد صفحاتها في بداية صدورها (٢٠) صفحة، ولكنه كان يتغير في بعض الأحيان، إذ يزداد ليتراوح بين ٢٤ و٢٨ صفحة. صدرت المجلة بثلاث لغات هي العربية، وصدر منها ٦٥ عدداً، والفرنسية وصدر منها ٤٠ عدداً، والكلدانية وصدر منها ٣٣ عدداً.

اهتمت المجلة فضلاً عن الموضوعات الدينية الكنسية، بالموضوعات الاجتماعية والسياسية والصحية والثقافية. ان مجلة "إكليل الورود" وإن كانت غايتها الأولى تهذيب الاخلاق بالطرق الدينية، فقد نشر فيها أصحابها، كما يقول أحد مؤرخي الصحافة العراقية، طائفة صالحة من المقالات الادبية والاجتماعية، وأثبتوا على أعمدتها أخباراً متنوعة، كما اعتنت بنشر أخبار المجتمع الموصلي. وقد ظلت تصدر بانتظام نحو ستة أعوام حتى توقفت عن الصدور عام ١٩٠٩.

أما في بغداد فقد أصدر الآباء الكرمليون مجلة دينية عرفت باسم "زهرة بغداد"، برز عددها الأول في ٢٥ آذار ١٩٠٥، واستمرت بالصدور أكثر من سنة، حتى توارت عن الأنظار.

إن مدارس الإرسالية الدومنيكانية في ولاية الموصل هي التي أدخلت المسرح إلى الموصل، وإنما إلى العراق كله. إن أول عمل مسرحي قدّم في هذا المجال كان (مسرحية نبوخذ نصر) التي ألّفها الخوري هرمز نرسو الكلداني الماريني سنة ١٨٨٦، ومثلت على مسرح مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل سنة ١٨٨٨. كما مثلت مسرحية (لطيف وخوشابا) بقيادة فتح الله سحار على المسرح في الموصل سنة ١٨٩٠ وهي مستوحاة من الأدب الفرنسي، وتعالج بأسلوب تربوي مشكلة البخل، وطبعت في كتاب سنة ١٨٩٣. عرفت الموصل أيضاً المسرح الغنائي من خلال مسرحيات شبيهة بالأوبريت الغربي، لقيت إقبالاً من الناس وحفظتها الصدور، ولاسيما انها كتبت باللهجة العامية الموصلية.

كما كان الآباء الدومنيكان أول من أدخل التصوير الفوتوغرافي إلى الموصل وجلبوا الفانوس السحري والأرغن والآلات الموسيقية الغربية. وكان نشاطهم واضحاً في المجال المعماري، فقد بنى الدومنيكان بيعة كبيرة سنة ١٨٦٩، استغرق بناؤها سبع سنوات. وفي كنيسة الدومنيكان أرغن ضخم يعده المختصون أول آلة موسيقية حديثة دخلت الموصل قبل أكثر من قرن من الزمان. أما الساعة مع برجها الذي ارتفع في تموز سنة ١٨٨٢ فإنها كانت هدية من الحكومة الفرنسية، وقيل من أوجيني زوجة الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث، وهي من صنع إحدى الشركات الفرنسية وفي معرض طلبه لهذه الساعة من الحكومة الفرنسية يقول نائب القنصل في الموصل عام ١٨٨١: "ساعة خارجية دقاقة... على ان تكون ذات أربع أوجه إذا أمكن، وذلك ليعلم الوقت بفضلها جميع سكان الموصل كائنة ما كانت الجهة التي هم فيها".

وبهذا الصدد يمكن الإشارة إلى تطور حركة الطباعة في الموصل حيث ارتبط تاريخ صحافة الموصل بنشأة تلك الحركة وتطورها. وكان للنخبة العراقية المتأثرة بالفكر الفرنسي الدور الرائد في هذا المجال، إذ ان تأسيس أول مطبعة في الموصل ارتبط بنشاط إرسالية الآباء الدومينكان التبشيرية التي قدمت الموصل في العام ١٧٥٠، وتم تأسيس مطبعة الدومينكان هناك في العام ١٨٥٨. وكانت مطبعة حجرية في بداية امرها، وفي العام ١٨٦٣ وجد الدومينكان ان مطبعتهم لاتفي بالغرض لذلك عملوا على توسيعها بشراء معدات طباعية كاملة خصصوا لها مبلغاً كبيراً من المال، أسهمت فيه جمعية مدارس الشرق بباريس بستة آلاف فرنك، هذا فضلاً عن تبرع المطبعة الأهلية بباريس بمجاميع من الحروف العربية والسريانية والفرنسية، وقد ألحق بالمطبعة مسبك لصب الحروف وقسم لتجليد الكتب وتذهيبها بالطرق الحديثة. وقد أنجزت مطبعة الدومينكان نشر قرابة (٢٩٣) كتاباً في مختلف المعارف. وبالإضافة إلى مطبعة الدومينكان تأسست مطبعة أخرى هي المطبعة الكلدانية، وقد أسهمت أيضاً في نشر الوعي الثقافي.

استمرت مطبعة الدومنيكان في النشر، وبدون انقطاع، أربعاً وخمسين سنة حتى توقفت عن العمل إثر مصادرة السلطات العثمانية لمكائنها بدعوى تبعيتها لدولة أجنبية معادية. وقد نقلت مجموعة من أدواتها وآلاتها وحروفها إلى مطبعة الولاية، وبعد الاحتلال البريطاني للموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ عادت إلى العمل لتواصل نشاطها، فطبعت الكثير من الكتب والكراريس والمنشورات الحكومية. ولعل أبرز ما طبعته خلال المرحلة الجديدة "منهج التعليم الابتدائي سنة ١٩١٩" و"نظام بلدية الموصل" سنة ١٩٢٠ و"إيضاحات في تدريس اللغة العربية في المدارس" سنة ١٩٢١.

لماذا احال نوري سعيد عباس جميل التقاعد

■ كمال لطيف سالم

ترك عباس جميل بصمات خالدة خلال مشواره الفني الطويل فكانت له منزلة كبيرة في قلوب محبيه وزملائه وطلبته، الحياة وقفت معه لأنه صادق في فنه يمتلك موهبة شجعه الباشا/ نوري السعيد بان ينقل خدماته من الكلية العسكرية التي كان مدرباً عسكرياً فيها إلى موسيقى الجيش،

لكن الموسيقي الأجنبي فيها اعتذر عن عدم قبول عباس جميل إلى الفرقة برغم موهبته لأنه وجد فتحة بين أسنانه الأمامية.. لكن الباشا (نوري سعيد) لم يخيب ظن المبدع العراقي الكبير فاقترح عليه التقاعد برتبة أعلى حتى يتفرغ لفنه الراقي لان الجيش يتطلب القسوة والخشونة أما أوتار عوده فأنها تحرك شرايين القلب وتسحر الناس.

فرح الفنان عباس جميل من كل قلبه لأنه سوف يتفرغ لإبداعه ويخط الباشا نوري سعيد والذي كان عازفاً هو الآخر رغم دهائه السياسي.. وبدأت أوتار الجميل تصنع الألحان لزهور حسين ووحيدة خليل وغادة سالم ولميعة توفيق ولعدد من المطربين والمطربات الآخرين وكانت ألحانه تمتاز بطابع القرية والمدينة وفي عام/١٩٦٥ نهض الفنان الجميل الرائع باعذب وأجمل الالحان العراقية الأصيلة فكان كريماً لطيفاً ظريفاً فهو مركز إشعاع لكل من حوله في عدة مؤتمرات ومهرجانات فنية عربية.

سيبقى راحلنا حاضراً ومشرقاً في الذاكرة العراقية بعد أن أجاد في الساحة الموسيقية إذ انه احسن الالمام بثقافة موسيقية عالية المستوى تميزت بعمله وخبرته وسعة مداركه وسلامة ذوقه وحسن أدائه.

ومن خلال هذا المنظور إذ أكدنا أن سلطاننا الراحل هو احد الرواد الذي تحملوا أعباء مرحلة الأربعينيات وما تلاها واخذوا على عاتقهم مهمة تحريك الواقع الغنائي باتجاه الحصول على نتائج مؤثرة في الخطوط العامة العراقية فكان إنساناً رقيقاً يحب كل الناس وخاصة أصدقائه الفنانين لقد أعطى عطاء ثراً منذ بدايته حتى رحيله في تجسيد الأغنية العراقية الرصينة النابعة من أصالة تراث العراق ونخيله ودجلة والفرات وتغنت بها الأجيال وحفظها ورددها الجميع

في حوار صحفي أجريته مع الفنان الراحل قال فيه : اتجهت إلى مرحلة التلحين للأغنية العراقية التي كانت "تلوب" وقتها تحت الردح الموسيقي القديم، "أي الإيقاع الثقيل" فلحنت أول اغنية "كتجربة" للفنانة الراحلة زهور حسين وكان مطلعها:

"اخاف احجي وعلي الناس يكولون".

فانتشرت هذه الاغنية انتشارا واسعا، وحققت نجاحا شعبيا، وذلك لخفة إيقاعها ، وسرعة فهم الكلام المصحوب مع الموسيقى العراقية الأصيلة.

ومع ذلك، فقد وجدت في نفسي حاجة إلى نهل الكثير من مناهل الفن في مجال الموسيقى وان اكون ملما بشؤون الموسيقى على وجه العموم.

فدخلت معهد الفنون الجميلة للسنة الدراسية "١٩٥٠- ١٩٥١" فدرست على يد الأستاذ سلمان شكر سنة واحدة، وعلى يد الأستاذ المرحوم منير بشير، لان الدراسة كانت وقتها في المعهد سبع سنوات.. فتخرجت بدرجة شرف..وعينت معلما للنشيد في احدى المدارس الابتدائية.

في هذه المرحلة بدأت التلحين، بعد نجاح التجربة الأولى وكنت ألحن اغنية التي تتوفر فيها شروط النغمة العراقية الاصيلة....

فلحنت لزهور حسين اغاني كثيرة هي:

غريبة من بعد عينج يايمه
جيت يا اهل الهوى
يم عيون حراكة
اني اللي اريد احجي

كما ولحنت اغنية "جاوين اهلنه" للفنانة وحيدة خليل وكذلك اغنية "على بالي ابد ما جان فركاك".

و"عين بعين على الشاطئ تلاكينه".

ولحنت لسليمة مراد أغنية ، "يايمه ثاري هواي" أما عفيفة اسكندر ، فقد لحنت لها:

"على عنادك"
طولا تمشي ورى اللي يضحكك".

وكانت اول تجربة لي في مجال تلحين الأغنية الريفية، هي أغنية لداخل حسن عنوانها:

"يا طبيب صواب دلالي كلف لا تلجمه بحطة السماعة"

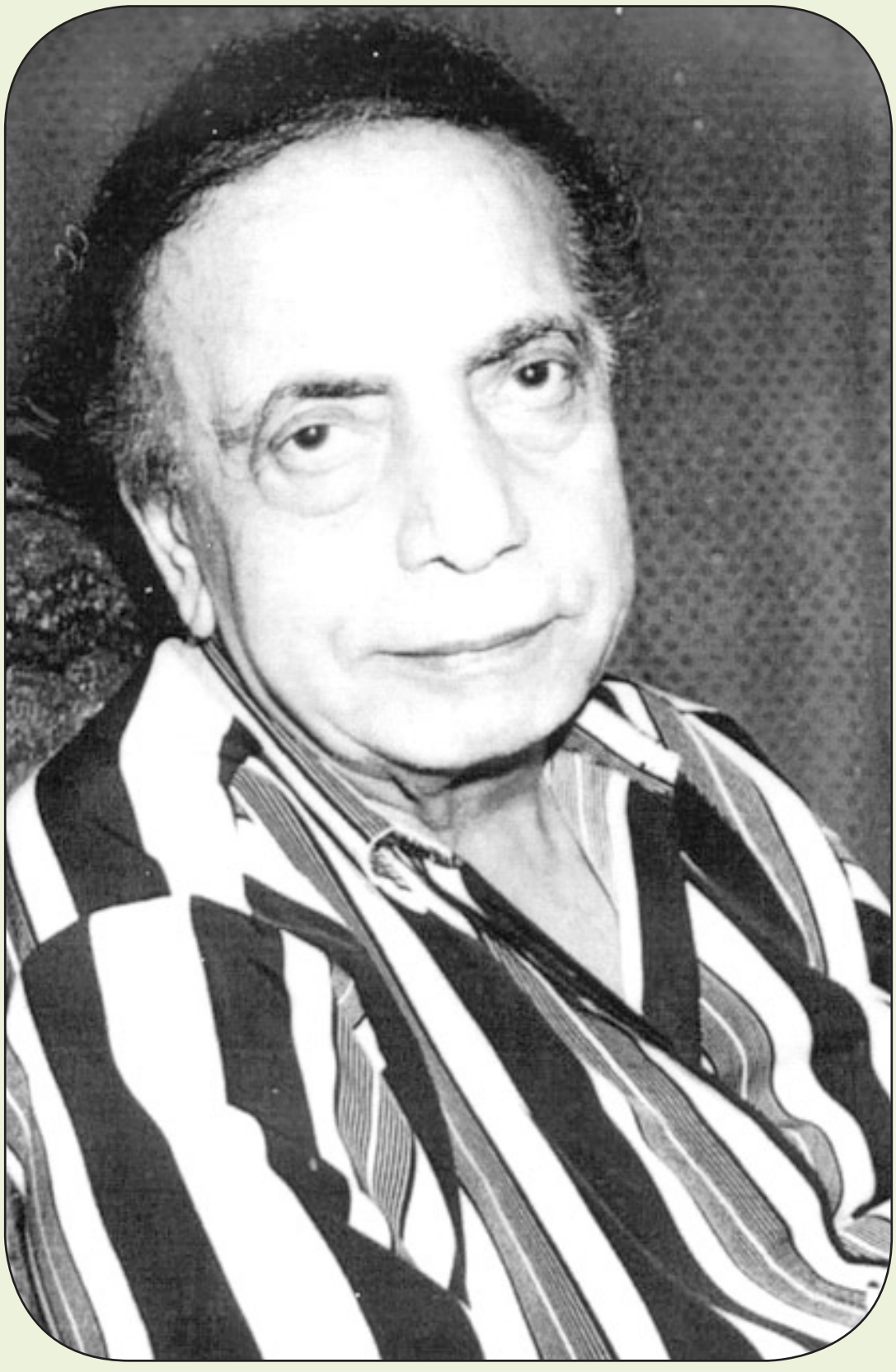

نائب رئيس التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ذاكرة
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون